La Comédiathèque

صورة عائلية

جان بيير مارتينيز

comediatheque.net

يمكن تحميل نص هذه المسرحية مجانًا.
لكن يجب الحصول على إذن مسبق من المؤلف قبل أي عرض علني لها.
للتواصل مع جان بيير مارتينيز وطلب الإذن بعرض أحد أعماله:
https://comediatheque.net/contact-form
https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

صورة عائلية

جان بيير مارتينيز
ترجمة المؤلف

شقيقان وشقيقتان نادرًا ما يلتقون
يجتمعون للمرة الأخيرة في منزل العائلة المخصص للعطلات
من أجل بيعه بعد وفاة والديهم.
لكن الحسابات التي عليهم تصفيتها ليست مالية فقط...

الشخصيات:

بيير
جوزيان
جيف
فريديريك

La Comédiathèque©

الصباح

غرفة المعيشة في بيت للعطلات، أثاثها بسيط جدًا. في الخلف مدفأة صغيرة لا نار فيها. يدخل بيير من المطبخ، بمظهر مثقف يساري، حاملاً قدرًا من الماء الساخن يضعه على الطاولة بجوار عبوة عائلية من نسكافيه. يفتش بيير كل حجرات خزانة الأواني. في الأخيرة يجد فنجانًا فيضعه على الطاولة. ويفعل الشيء نفسه مع الأدراج بحثًا عن ملعقة صغيرة. يجلس، يصب لنفسه القهوة، ويهجم على ما تبقى من بسكويت بيبيتو في العلبة. يُسمع رنين هاتف محمول من خارج الخشبة. يرتشف بيير قهوته وينهي البسكويت وهو يقرأ مجلة «لا في فيناسيير» الاقتصادية. وتسمح العناوين الكبيرة بتحديد زمن الأحداث: «خلال عام 2000: الأسواق قلقة مع اقتراب الألفية الجديدة...» صمت قصير. يدخل جيف مرتديًا بيجاما مخططة، شاردًا، كأنه يسير بالرادار.

جيف (متثائبًا) – ارتديت ملابسك بالفعل؟

بيير (مواصلاً قراءة مجلته) – أكره أن أبقى بالبيجاما. هناك ماء ساخن ونسكافيه...

تحت نظرات بيير المندهشة، يفتح جيف مباشرة الحجرة والدرج الصحيحين، ويُخرج فنجانًا وملعقة صغيرة، ثم يجلس ويصب لنفسه القهوة. يلتقط علبة البسكويت بأمل، لكنه يكتشف أنها فارغة، فيعيدها بخيبة أمل.

جيف – لم يبقَ بيبيتو...؟

بيير، الذي يبدو أنه التهم العلبة كلها، لا تظهر عليه أي علامة ندم.

بيير – كما ترى... لا!

لا يبدو جيف سعيدًا، لكنه لا يقول شيئًا. فيواصل بيير استفزازه.

بيير – تذكرني بأمي... عندما كنا نقول لها: «لم يبقَ شوكولاتة؟» كانت تجيبنا: «طبعًا، عندما تكون موجودة تأكلونها...»

يفضل جيف ألا يرد. ينتقل بيير إلى موضوع آخر.

بيير (متنهدًا) – لم أغمض عيني طوال الليل. مع تلك العاصفة...

جيف – أي عاصفة؟

بيير (غير مصدق) – لا تقل لي إنك لم تسمع شيئًا! كان الصوت كطلقات مدفع...

لا رد من جيف، فيراقب بيير سلوكه بنظرة عالم أنثروبولوجيا.

بيير – ما زلت تمشي وأنت نصف نائم، أليس كذلك؟

بدلًا من الرد، يبدأ جيف بتحريك قهوته آليًا.

بيير – أتذكر مرة أيقظناك في الحادية عشرة ليلًا وأقنعناك بأنك لم تسمع المنبه. وتركناك تتناول إفطارك... أمي هي التي لحقت بك في الخارج. كنت ذاهبًا إلى المدرسة بالبيجاما. وكان يوم أحد في شهر أغسطس...

يبدأ جيف في ارتشاف قهوته من دون رد.

بيير (عائدًا إلى الحاضر) – وما إن عدت للنوم حتى أيقظتني شاحنة القمامة! تمر دائمًا في الساعة نفسها... الخامسة صباحًا. عندما كنا في العشرين لم تكن توقظنا بالتأكيد. كنا نعود إلى البيت في الوقت نفسه الذي تمر فيه شاحنات القمامة...

جيف – ممم...

بيير (مندهشًا) – وأنت، نمت جيدًا؟

جيف – متعب قليلًا. الطريق طويل على أي حال... خصوصًا عندما يقود المرء وحده. لماذا لم تحصل على رخصة القيادة قط؟

بيير – حاولت، لكنني رسبت.

جيف – مرة واحدة فقط! كان يمكنك أن تعيد المحاولة...

بيير – لا أتحمل الفشل. ربما لم أُخلق للقيادة، هذا كل شيء. ثم عندما أرى كل هؤلاء الحمقى على الطريق... رأيت ما حدث أمس؟ حتى أنت كدت تفقد أعصابك! خذ أي شخص مهذب، لطيف، ومتزن تمامًا. أعطه مقود سيارة، وبعد عشر دقائق سيشتم الجميع ويصبح مستعدًا للعراك مع أي أحد. كيف تفسر ذلك؟

يتضايق بيير من قلة تفاعل أخيه المنشغل بتحريك قهوته، فينهض ويتفحص المكان بنظرة دائرية.

بيير – لم يتغير شيء. مرّ ما لا يقل عن خمسة عشر عامًا منذ جئت إلى هنا آخر مرة. وأنت؟

جيف – منذ عامين، مع كاترين والأولاد. لكن ليس في الشتاء أبدًا.

يقترب بيير من المدفأة وينفخ في يديه ليدفئهما.

بيير – الآن فهمت السبب...

يتوقف أمام المدفأة، فوقها علبة كبيرة من أعواد الثقاب، ومصباح كريد، وصورة مدرسية قديمة بالأبيض والأسود جرى تلوينها يدويًا: الشقيقان في مئزرين أزرقين والشقيقتان في مئزرين ورديين.

بيير – تعتقد أنها تعمل؟

جيف – كنا نأتي دائمًا في أغسطس... لم يستخدمها أحد قط...

بيير – هذا لا يعني أنها لا تعمل...

يبحث بيير بعينيه حوله.

بيير – أعواد الثقاب موجودة. لا ينقصنا إلا الحطب...

يشير إليه جيف بأن يترك الأمر. يبدأ بيير بالدوران في الغرفة متفحصًا إياها كما لو كان يعدّ تقريراً عن حالتها.

بيير – متى نوقع عند كاتب العدل؟

جيف – الساعة الثالثة. إذا لم يغير المشتري رأيه.

يفرك بيير يديه من جديد ليدفئهما.

بيير – إذا كان قد زارها في الصيف، فهذا احتمال وارد...

يلقي نظرة عابرة من النافذة.

بيير – تعرف من هو هذا الرجل؟

جيف – أي رجل؟

بيير – المشتري!

جيف – تحدثت معه مرة بالهاتف. من باريس. أظنه أخصائي علاج طبيعي...

بيير – لطيف؟

جيف – وما الفرق؟

بيير – لا شيء...

صمت قصير.

بيير (بشيء من التردد) – فريديريك وجوزيان ستأتيان معًا؟

جيف – جوزيان أخذت القطار الليلي. يفترض أن تصل هذا الصباح. فريديريك اتصلت بي من المطار. لهذا استيقظت...

بيير – ستذهب وتعود في اليوم نفسه؟

جيف – لا أعرف.

يرتشف جيف قهوته. يعود بيير إلى المدفأة بعد أن دار في الغرفة، ويلتقط صورة الأطفال الأربعة.

بيير – نسيت هذه الصورة تمامًا. كيف وصلت إلى هنا...؟

جيف – أظن أن أمي هي التي أحضرتها. آخر مرة جاءت فيها إلى هنا مع أبي. قبل أن يعود مباشرة إلى الأمازون...

يتفحص بيير الصورة عن قرب بابتسامة نصف ساخرة ونصف مريرة.

بيير – طريف، أليس كذلك؟ صورة بالأبيض والأسود ملوّنة بالقلم. كانوا يفعلون ذلك في ذلك الوقت. لا بد أن التصوير الملوّن كان لا يزال تجريبيًا.

جيف – هذا لا يجعلنا أصغر سنًا...

بيير – لا. أشعر كأنني فيلم قديم جرى تلوينه.

يركز بيير هذه المرة على ما في الصورة لا على طريقة صنعها.

بيير – غريب أن أرى هذه الصورة من جديد... كل شيء كان موجودًا منذ ذلك الوقت، أليس كذلك؟

يصعب على جيف متابعة منطقه. يفضل أن يحتسي قهوته بهدوء ويستيقظ على مهل.

جيف – ما الذي كان موجودًا؟

بيير – في الصورة! يمكنك أن ترى ما سيصبح عليه كل واحد منا... فريديريك بابتسامتها المصطنعة. جوزيان بنظرتها الساخرة. أنت تبدو كأنك لا تكترث بشيء، وأنا أبدو ككلب ضُرب كثيرًا.

يواصل جيف شرب قهوته من دون رد. يبدو أنه اعتاد تأملات أخيه الغريبة ولم يعد يعيرها اهتمامًا.

بيير – تتذكر متى التقطت هذه الصورة؟

جيف – لا.

بيير – وأنا أيضًا. الغريب أنني لا أتذكر شيئًا تقريبًا من طفولتي. وليست لدي صور كثيرة لي وأنا طفل تساعدني على التذكر.

جيف – في ذلك الزمن لم نكن نلتقط صورًا بقدر ما نفعل اليوم.

بيير – صحيح. هذه العادة الحالية، تصوير كل شيء، مزعجة. هل تعرف أن جيروم صوّر ولادة فريديريك بكاميرا فيديو؟ لا أعرف إن كانا يشاهدان الشريط كثيرًا مساء السبت... كان عليهما أيضًا تصوير لحظة التزاوج، ثم مونتاج الكل في فيلم وثائقي. شيء من نوع «حياة الحيوانات»... أحب أفلام الحيوانات. التعليق فيها دائمًا يبعث على الطمأنينة. ومليء بالحِكم. من نوع: «ما أروع الطبيعة، لم نخترع شيئًا»، أو «الكبار يلتهمون الصغار حتى لا يكثر العدد»، أو «الأضعف محكوم عليه بالفناء، وهذا محزن، لكنه يحافظ على نقاء السلالة».

ينظر بيير إلى الصورة من جديد.

بيير – على أي حال، كنت أتمنى أن أعرف كيف كنت أبدو وأنا رضيع. أظن أن هذه من أقدم الصور التي رأيتها لنفسي. كان عمري لا يقل عن خمس سنوات...(ساخراً) وربما تبناني أبي وأمي في تلك السن ولم يجرؤا قط على إخباري. رأيت قصة كهذه في فيلم تلفزيوني. عندها لن تكونوا إخوتي حقًا...

صمت قصير.

جيف – أظن أن مصورًا جاء إلى المدرسة.

بيير – جمعونا لالتقاط الصورة. تتذكر، الفصول لم تكن مختلطة بعد. حتى في الفسحة كان الفناء مقسومًا إلى نصفين بحدود وهمية: الأولاد من جهة بمآزر زرقاء، والبنات من الجهة الأخرى بمآزر وردية. وكان عبور الخط الفاصل ممنوعًا تمامًا. إلا للذهاب إلى دورة المياه، التي كانت في جهة البنات. كنت معجبًا بطفلة لا أراها إلا وأنا أمر في طريقي إلى الحمام. لذلك كنت أذهب كثيرًا... لكنني لم أكلمها قط. أتساءل ما الذي حل بها. لا أعرف حتى اسمها...

صمت قصير.

جيف – منذ كم لم ترَ جوزيان وفريديريك؟

يعيد بيير الصورة إلى مكانها.

بيير – منذ جنازة أمي... غريب أن أقول ذلك. لا أستطيع أن أستوعب أنها ماتت... ليس الأمر أنني حزين جدًا، لكن... غريب أن أصبح يتيمًا.

جيف – أبي لم يمت...

بيير – لا نعرف ذلك. لم نره منذ سنوات. لم يحضر حتى جنازة زوجته. هل تعتقد أن آكلي لحوم البشر لو التهموه سيرسلون لنا إشعار وفاة؟

جيف – ما زال هناك آكلو لحوم بشر في الأمازون؟

بيير – هناك أسماك البيرانا... يقال إن سربًا منها يستطيع التهام بقرة في خمس دقائق، ولا يترك إلا العظام. فتخيل أبي... ثم إنه لم يكن حاضرًا فعلًا في حياتنا على أي حال. بيننا، موته لن يغيّر الكثير. مجرد إجراء شكلي. مثل أناس يتزوجون بعد ثلاثين سنة من العيش معًا «لجعل الأمر رسميًا». عندما يموت أبي، سيكون ذلك فقط لجعل اختفائه رسميًا...

صمت قصير.

بيير – لدي صديق خضع للتحليل النفسي خمسة عشر عامًا ليحاول استعادة الحوار مع أبيه. خمسة عشر عامًا، تتخيل؟

جيف – ونجح؟

بيير – للأسف... بعد خمسة عشر عامًا كان أبوه قد مات...

جيف – لا تبالغ... لسنا شهداء. على الأقل كان لدينا والدان...

بيير – نعم... هناك دائمًا من هو أشقى منا، هذا صحيح. لكن الغريب أن هذه الفلسفة لم تواسني قط. كأن تقول لشخص بساق واحدة: «لا تتذمر، كان يمكن أن تفقد ساقيك معًا».

صمت قصير.

بيير – تعرف ماذا عرفت من العم ألبرتو قبل بضع سنوات؟

جيف – ماذا؟

بيير – أنه هو من اختار اسمي. كانت أمي قد ولدت لتوها. لا بد أن أبي كان مشغولًا جدًا، كعادته. فذهب العم ألبرتو ليسجلني في البلدية. ويبدو أنهم تركوا له حرية اختيار الاسم. في النهاية، لم يكن سوى تفصيل صغير.

جيف – كان زمنًا آخر...

بيير – حتى في ذلك الزمن، كان هناك آباء يتكبدون عناء الذهاب إلى البلدية لاختيار اسم لأطفالهم.

جيف – صحيح أن عائلتنا كانت دائمًا تعاني مشكلة مع الأسماء. وماذا أقول أنا! عشر سنوات والجميع يظن أن اسمي كريستوف. إلى أن اكتشفت أمي، عندما طلبت نسخة من شهادة ميلادي من البلدية، أن أبي لم يسجلني بهذا الاسم.

بيير – على الأقل أعطاك اسمًا. بل أعطاك اسمه هو...

جيف – لست متأكدًا أنني ربحت من الصفقة... «خيسوس» ليس اسمًا سهلًا في فرنسا.

بيير – في إسبانيا شائع جدًا...

جيف – في فرنسا أقل. خيسوس! ومع ذلك لم يعمدنا حتى...

بيير – لا تتذمر، هناك يهود يسمون «يهوذا».

جيف – حقًا؟

بيير – أو ألمان يسمون «أدولف»، إن شئت...

جيف – على أي حال، الجميع كان يناديني جيف. لا أعرف لماذا... الكل يظن أنها اختصار لـ«جان-فرانسوا».

صمت.

جيف – ستأتي إلى بيتنا في عيد الميلاد؟

بيير (بعدوانية مفاجئة) – لماذا؟ لأصفق لخطب صهري المعادية لليهود والمثليين؟

جيف – إنه يستفز فقط...

بيير – اسمع، جيروم يدافع عن أفكار «الجبهة الوطنية» اليمينية المتطرفة بينما يزعم أنه يصوت بورقة بيضاء، وفريديريك تصوت للجبهة الوطنية وهي تدين أفكارها... الاثنان معًا يصنعان ناخبًا كاملًا من أقصى اليمين.

جيف (بفتور) – كفى، عرّاب ابنتهم يهودي...

بيير – آه، هذه الحجة المثالية! نحن لسنا عنصريين لأن لدينا أصدقاء يهودًا. لطيفون جدًا بالمناسبة... بالنسبة إلى يهود. يقودون مثلنا سيارات مرسيدس، ويذهبون للتزلج في النمسا، وسمّوا ابنتهم إنغريد. هناك حمقى بين اليهود أيضًا! حتى في الجبهة الوطنية. أعني يهودًا. يهود حمقى. أو حمقى يهودًا، إن كنت تفضل.

جيف (مستمتعًا) – يبدو أنك في قمة نشاطك هذا الصباح.

يبتسم بيير بدوره، راضيًا بوضوح عن خطبته، ويصب لنفسه مزيدًا من القهوة. إنه يحب الكلام ويستمتع بالاستماع إلى نفسه.

بيير – هناك حدود، ألا توافق؟

جيف – صحيح أنه أحيانًا كان يمكنه أن يصمت...

بيير – فلماذا لم تقل شيئًا في المرة الماضية؟

جيف – وأنت أيضًا لم تقل شيئًا...

بيير – لكنني غادرت...

جيف (ناهضًا) – الهرب ليس دائمًا الحل...

يتجه جيف نحو الممر. يراقبه بيير مذهولًا، ثم يعود إلى قراءة «لا في فينانسيير». يرن هاتفه المحمول.

بيير – نعم؟(مبتسمًا) نعم... نعم، كل شيء بخير... لا، لم يكن هناك ازدحام كبير على الطريق... لا، ستصلان هذا الصباح...(متظاهراً باللامبالاة) وهل حصلت على نتيجة المختبر؟(بخيبة) هذا المساء؟ لا، لا، أفضل أن أتصل بك أنا... لست قلقًا، لكن عندما لا يكون المرء قد أجرى الفحص من قبل...

تدخل جوزيان وهي تجر حقيبة بعجلات. ترتدي ملابس غريبة، أشبه بعباءة مكسيكية «بونشو».

بيير (مرتبكًا) – عذرًا، يجب أن أتركك. جوزيان وصلت... نعم، نعم، سأخبرهم... عندما يحين الوقت... وأنا أيضًا... أقبلك...

ينهي بيير المكالمة.

جوزيان (بصوت مرتفع) – متى وصلتما؟

ينهض بيير ويقبّلها على الخدين ببرود.

بيير – ليلة أمس. متأخرين...

تضع جوزيان حقيبتها وتنظر حول الغرفة.

جوزيان – آه، هذا البيت!

ينتظر بيير تعليقًا لا يأتي.

جوزيان – نتجمد هنا... لا أفهم لماذا لم يركب والدانا تدفئة قط...

بيير – ربما لأننا لم نكن نأتي إلا في أغسطس...

جوزيان – أخوك هنا؟

بيير – هو أخوك أيضًا، أليس كذلك؟ في غرفته...

جوزيان – صحيح أنه لا يستيقظ مبكرًا...

بيير – ولماذا تريدين منه أن يستيقظ مبكرًا؟ لن نوقع إلا بعد الظهر...

جوزيان – إذن؟ ماذا ستفعل بكل هذا المال؟

بيير – لا أعرف...

تلمح جوزيان مجلة «لا في فينانسيير» على الطاولة.

جوزيان – صرت تقرأ «لا في فينانسيير» الآن؟

بيير – أتعامل في البورصة... عبر الإنترنت.

جوزيان (منبهرة) – البورصة... ليست مخاطرة كبيرة؟

بيير – مثل الحب... إذا كنت لا تريد أن يحملوك طفلًا من وراء ظهرك، عليك أن تعرف متى تنسحب في الوقت المناسب.

جوزيان – وهل تربح؟

بيير – لا بأس.

جوزيان – إذن عليك أن تعطيني بعض النصائح. لأستثمر نصيبي من الميراث...

بيير (ساخرًا) – ليست معقدة جدًا. قليل من المنطق... في شتاء قارس كهذا تشتري أسهم «دامار» للملابس الدافئة. وقبل عيد الأم تبيعها وتشتري أسهم «مولينيكس» للأجهزة المنزلية.

جوزيان – مولينيكس؟ أليست مفلسة؟

بيير – بسبب النسويات. الأطفال اليوم لم يعودوا يجرؤون حتى على إهداء أمهاتهم مطحنة خضار أو مكواة في عيد الأم...

جوزيان (بنبرة سرية) – بالمناسبة، هل عرفت؟

بيير – عرفت ماذا؟

جوزيان – بخصوص خيسوس! شركته ستعلن إفلاسها...

بيير (متضايقًا) – ألا يمكنك أن تناديه جيف مثل الجميع؟ هل هو من أخبرك؟

جوزيان – زوجته. المسكين... لا أعرف ماذا سيفعل الآن.

بيير – اسأليه.

جوزيان – كاترين؟

بيير – لا، هو! أخوك جيف!

جوزيان – لم يكن مناسبًا لأن يكون مديرًا، كان ذلك واضحًا!

بيير – حقًا؟ من ماذا؟

جوزيان – رأيت في أي ساعة يستيقظ! أنا على أي حال لم أنم طوال الليل. القطار كان مكتظًا! وطبعًا كان نصيبي أن أقع مع «قبيلة» من البرتغاليين ومعهم قطيع من الأطفال. واحد منهم كان مصابًا بالنكاف وظل يصرخ طوال الليل. وبقية العائلة أكلت بطيخًا وتشوريزو حتى الصباح لتمضية الوقت...

بيير، الذي لم يعتد بعد هذيان أخته العنصري، يكتم غضبه ويلجأ إلى السخرية.

بيير – ألم يعرضوا عليك شيئًا منه؟

جوزيان – بلى! لكنني رفضت! كانت الرائحة لا تُطاق في العربة. كدت أتقيأ...

بيير – أذكّرك أننا نحن أيضًا من أصل إسباني. واسمك قبل الزواج فرناندين...

جوزيان – اسمي قبل الزواج؟ لقد مضى زمن طويل منذ كنت «فتاة» فعلًا! حسنًا، سأذهب لأنتعش قليلًا. أشعر أن رائحة التشوريزو لا تزال عالقة بي.

تخرج. يغلق بيير مجلته ويخرج بدوره حاملًا القدر باتجاه المطبخ. يدخل جيف وقد ارتدى ملابسه. يرتدي بدلة رسمية إلى حد ما لكنها بلا أناقة، أشبه بمدير شركة صغيرة بذل جهدًا كي يبدو مناسبًا لموعد مهم. بعد لحظات تعود جوزيان وقد لفّت نفسها بسترة صوفية سميكة وتحمل مجلة الصيد الفرنسية «لو شاسور فرانسيه» تحت ذراعها. يتبادل جيف وجوزيان القبلات ببرود.

جيف (مندهشًا لرؤية مجلتها) – صرت مهتمة بالصيد؟

تجيب جوزيان بلا حرج وبنظرة ذات معنى.

جوزيان – بالأحرى أقول إنني «في الصيد»... أبحث في الإعلانات الصغيرة.

جيف – الإعلانات الصغيرة...؟

جوزيان – إعلانات الزواج!

يبدو جيف مندهشًا ومحرجًا في آن واحد.

جيف – وإذن؟

جوزيان – الأمر مثل السيارات.

جيف – حقًا؟

جوزيان – يجب أن تقارن بين النماذج وتجربها...

جيف – ووجدت النموذج الذي يناسبك؟

جوزيان – ليس بعد. للأسف، في سني عليّ أن أكتفي بسوق المستعمل. وأنت؟

جيف – ماذا عني؟

جوزيان – كيف حال زوجتك؟

جيف – بخير.

جوزيان – والأولاد؟

جيف (ببرود) – يمكنك أن تقولي أولادي. يحملون اسمي الآن...

جوزيان – ليس الأمر نفسه تمامًا. حتى أولادك، إذا صح التعبير، «مستعملون» قليلًا...

يصمت جيف، ومن الواضح أنه يبذل جهدًا كي لا ينفجر.

جوزيان – والعمل؟

جيف – ماشي الحال...

جوزيان (ضاحكة) – عندك كل شيء دائمًا «ماشي الحال»، أليس كذلك؟

جيف (منزعجًا قليلًا رغم نفسه) – لم أقل إن الأمور رائعة. قلت إنها ماشية...

جوزيان – وبيير؟

جيف – ماذا عن بيير؟

جوزيان – عمله! رأيت إحدى مسلسلاته في التلفزيون قبل أيام. ابني هو الذي قال لي أن أشاهدها. يا لها من سخافة!

جيف – موجهة للشباب... وعلى أي حال تدفع جيدًا.

جوزيان – وهذا هو الأهم. كان عليّ أن أفعل مثله بدل أن أجتاز في الخمسين مسابقة التأهيل الرسمية لتدريس الثانوية، كي أحاول تعليم القراءة لكل هؤلاء الأغبياء...

تعود إلى قراءة إعلاناتها. صمت قصير. يعود بيير بماء ساخن. ويشرب الثلاثة القهوة من جديد.

جوزيان (مبتسمة) – يا له من نسكافيه مقرف!

ينظر إليها الآخران باستنكار، لم يكونا بحاجة إلى هذا التشجيع وهما يحاولان ابتلاع الشراب. لكن جوزيان تواصل.

جوزيان – لحسن الحظ أن العبوة أوشكت على الفراغ. لا بد أنها هنا منذ سنوات. عبوة عائلية كبيرة كهذه...(كأنها تحسب ذهنياً) ملعقة لكل فنجان، شهرًا واحدًا في السنة، في الصيف...

يدفع بيير فنجانه بعيدًا نهائيًا. يُفتح الباب وتدخل فريديريك بوشاح هيرميس، وحلي ذهبية وحقيبة فيتون، بمظهر برجوازي أنيق ومحافظ.

فريديريك – صباح الخير.

بيير (من دون أن ينهض) – أهلًا.

ينهض جوزيان وجيف لتقبيل أختهما.

جيف – كانت رحلتك جيدة؟

بيير – الرحلة بالكاد ساعة. ليست رحلة شاقة جدًا...

فريديريك – ما زلت لطيفًا كعادتك...

جوزيان (تحمل عبوة النسكافيه) – تريدين قهوة؟

فريديريك – شكرًا، تناولت الفطور في الطائرة.

جوزيان – أحسنتِ.

جيف – ما زالت هناك غرفة لك. لكن ربما علينا تغيير الملاءات.

فريديريك – لا داعي، سأعود هذا المساء...

جوزيان – حقًا؟ مؤسف. كل هذه الكيلومترات من أجل ساعات قليلة...

بيير – لا بأس، سيحصل كل واحد منا على نحو مئتي ألف فرنك...

ينظر إليه الآخرون باستغراب.

بيير – فريديريك جاءت مثلنا من أجل البيع، أليس كذلك؟ لن تقطع ألفي كيلومتر في يوم واحد لتقضي بضع ساعات عائلية على شاطئ البحر في ديسمبر...

فريديريك – وأنت، ألست هنا للسبب نفسه؟

بيير – بلى... هذا ما قلته. كلنا هنا لهذا السبب.

جوزيان – مئتا ألف فرنك لكل واحد... (يتسلل إليها الشك، إلى جيف) أنت متأكد أننا نبيع هذا البيت بالسعر المناسب؟

جيف – معروض للبيع منذ عام. وحتى بهذا السعر لم يتدافع المشترون. لولا أن هذا المعالج الطبيعي اتصل بي قبل شهر...

جوزيان (بلوم) – ربما كان يجب أن نقوم ببعض الدعاية. ننشر إعلانات مثلًا...

جيف – لم يمنعك أحد. في «لو شاسور فرانسيه» مثلًا...

جوزيان – نعم، لكنك أنت من كان يتولى الأمر!

جيف – ومن قرر أصلًا أن عليّ أن أتولى الأمر؟ لدي أشياء أخرى أفعلها أنا أيضًا. ولم أكن أعيش هنا.

جوزيان (لم تعد تستمع إليه) – آه، هذا البيت! على الأقل سنكون قد تخلصنا منه هذا المساء.

ترتشف جوزيان قهوتها من جديد.

جوزيان – وهي باردة تصبح أكثر فظاعة!(تنظر إلى الآخرين بلطف مصطنع) تريدون المزيد؟

يتبادل بيير وجيف نظرة بائسة.

جيف – سأرى إن كنت أجد بعض الصحف.

بيير – سأرافقك. ونشرب قهوة حقيقية بالمناسبة.

جوزيان – أحضر لي الأسبوعية اليسارية «لو نوفيل أوبس»؛ تصدر اليوم.

ينظر إليها بيير بدهشة.

بيير – صرت تقرئين «لو نوفيل أوبسرفاتور» الآن؟

جوزيان (بمعنى خفي) – من أجل الإعلانات...

ينظر إليها بيير بلا فهم، لكنه لا يلح.

جيف (إلى فريديريك) – تريدين شيئًا؟

فريديريك – أخذت «مادام فيغارو» من الطائرة.

بيير – وإذا وجدنا «لومانيتيه مادام» — النسخة النسائية المتخيَّلة من صحيفة «لومانيتيه» الشيوعية — سنحضرها لك.

يخرج بيير وجيف.

فريديريك – لا يتحسن أبدًا.

جوزيان – جيف؟

فريديريك – لا، بيير!

جوزيان – يجب أن تأخذيه كما هو. لم يفعل شيئًا مثل بقية الناس قط. ألا تتذكرين؟ وهو صغير تعلم الحياكة. حتى إنه حاك لي وشاحًا...

من الواضح أن فريديريك لا تتذكر.

جوزيان – ألا تجدين ذلك غريبًا؟ لم نره قط مع فتاة...

فريديريك – ربما لم يكن يريد أن يعرّفنا بهن...

تبدو فريديريك غير مهتمة، فتغيّر جوزيان الموضوع.

جوزيان – وأنت، كيف حال أولادك؟

فريديريك – بخير... شارلوت تبدو سعيدة في مدرستها. أتمنى أن ينجح الأمر هذه المرة، لأنها مكلفة...

جوزيان – حقًا؟

فريديريك – تعرفين، اليوم إن لم تكوني مستعدة للدفع...

جوزيان – كم؟

فريديريك – خمسة آلاف.

جوزيان – في السنة؟

فريديريك – في الشهر...

جوزيان – خمسة آلاف فرنك في الشهر! هذا تقريبًا ما أتقاضاه وأنا مدرسة في الثانوية!

فريديريك – أعرف أنه غالٍ، لكن ماذا نفعل؟ إذا أردت شيئًا جيدًا فعليك أن تدفع ثمنه.

جوزيان – الجامعة مجانية.

فريديريك – لدخول الجامعة يجب أولًا الحصول على البكالوريا. وشارلوت لم تكن البكالوريا تناسبها. بعد ثلاث سنوات فهمنا ذلك. هي تحتاج إلى أشياء عملية. ثم بصراحة، لتجد نفسها في الجامعة مع أي أحد... اليوم الجميع يدخل الجامعة. لم تعد هناك أي انتقائية!

صمت قصير.

جوزيان – وما أخبار ماكسيميليان؟

فريديريك – في تدريب لمدة ثلاثة أشهر، ضمن مدرسته التجارية.

جوزيان – أين؟

فريديريك – في ماكدونالدز...(صمت قصير) في ميامي.

جوزيان – في ميامي!

فريديريك – نعم، اختار المسار الدولي.

جوزيان – لا بد أن ذلك يكلفكم ثروة أيضًا!

فريديريك – هذا صحيح. خصوصًا أن التدريب بلا أجر. التذكرة والسكن وحدهما يصلان إلى ستين ألف فرنك. لكن المدرسة تتكفل بكل شيء. لديهم شبكة قوية جدًا لتوفير فرص التدريب. اليوم للحصول على تدريب... من دون علاقات...

جوزيان – وماذا يفعل هناك؟ في التسويق؟

فريديريك – لا، في المبيعات.

جوزيان – في المبيعات...؟

فريديريك – نعم، أعني أنه يخدم الزبائن. الفلسفة الأمريكية في الأعمال هي أن تبدأ من القاعدة كي تفهم كيف تسير الأمور.

جوزيان (مذهولة) – تقصدين أنك تدفعين ستين ألف فرنك كي يقدم ابنك الهامبرغر في ماكدونالدز ثلاثة أشهر؟

فريديريك – في فلوريدا! تعرفين أن الأماكن هناك غالية ولا يقبلون أي شخص. ثم إنه سيحسن الإنجليزية. هذه نقطة ضعفه...

صمت.

فريديريك – وبرونو، ماذا يفعل؟

جوزيان – في الصفوف التحضيرية للمدارس العليا. ويبدو أن الأمور تسير جيدًا. درجاته ممتازة في الفلسفة...

فريديريك – الفلسفة اليوم... لا تؤدي إلى شيء، أليس كذلك؟ ماذا يريد أن يفعل بعدها؟

جوزيان – أظنه يريد التقدم إلى «المدرسة العليا للأساتذة»... على الأقل هي مجانية! بل سمعت أنهم يتقاضون راتبًا أثناء الدراسة...(صمت قصير) هذا الصيف سيعيدون تشغيله عامل مخزن في «أوشان». ليس عملًا مثيرًا، لكنه يوفر له بعض المصروف. وهكذا يعرف ما ينتظره إن فشل لاحقًا في مسابقة الأستاذية العليا في الفلسفة...

صمت قصير.

جوزيان – لديه صديقة الآن... سعيدة لأنه بدأ يتجاوز مشكلاته. لم يكن الأمر سهلًا عليه دائمًا، مع طلاقي...

فريديريك – أحيانًا يكون الطلاق الجيد أفضل من الزواج السيئ...

جوزيان – مع ذلك، عندما يكونون صغارًا يترك الأمر أثرًا. مهما قلنا، الطفل يحتاج إلى أمه وأبيه.

فريديريك – لكنك أنت وجيرار لم تتوقفا عن الشجار! زرتكما ثلاث مرات في عشر سنوات، وفي المرات الثلاث شاهدت شجارًا زوجيًا. لا أظن أنكما فعلتما ذلك تكريمًا لي. ولم يشجعني كثيرًا على العودة...

صمت قصير.

فريديريك – ما لا أفهمه هو كيف يمكن لرجل كان محللًا نفسيًا أن يكون بهذا السوء في تربية ابنه. لم تتفقا على شيء، خصوصًا في تربية برونو، وكنتما تناقشان خلافاتكما أمامه...

جوزيان (مازحة لتخفف الجو) – تعرفين المثل: الإسكافي هو دائمًا أسوأ الناس حذاءً. وبخصوص تربية الأطفال، قال فرويد: «افعلوا ما شئتم، في جميع الأحوال سيكون خطأ».

فريديريك – مع ذلك، يشعر المرء دائمًا بشيء من المسؤولية...

تلقي فريديريك نظرة حول الغرفة.

فريديريك – محزن أن نفكر أن البيت سيباع. لدينا هنا بعض الذكريات الجميلة رغم كل شيء... غريب. طوال السنة كنا محشورين في شقة من ثلاث غرف بلا حمام، مع والدين أنهكهما العمل ولا يكفان عن العبوس، وشهرًا واحدًا في السنة كنا نعيش في بيت مريح مع والدين شبه طبيعيين...

صمت قصير.

جوزيان – «ميامي بلايا»... يا له من اسم لبيت لا يقع حتى على البحر فعلًا...

فريديريك – ربما كان يذكره بإسبانيا... لماذا لم يعد إليها قط بالمناسبة؟

جوزيان – هذا... عليك أن تسأليه... إذا رأيناه يومًا. في البداية أظن أن السبب كان أوراق الإقامة. كان يخشى ألا يسمحوا له بالعودة إلى فرنسا. وبعد ذلك ربما وجدها بعيدة جدًا...

فريديريك – نعم... ولهذا فضّل طبعًا أن يستقر في ماناوس، في الأمازون... كنت سأشتري هذا البيت منكم، لكن جيروم لم يوافق. وفي كل الأحوال لم يكن الوقت مناسبًا...

جوزيان – حتى بهذا السعر، لست متأكدة أنك كنت ستحصلين على صفقة جيدة...

صمت.

فريديريك – لا أفهم لماذا بيير غاضب مني هكذا. لم أفعل له شيئًا. وهذا يؤلمني أيضًا. كنا متفاهمين من قبل، أليس كذلك؟

جوزيان – قبل ماذا؟

فريديريك (مرتبكة) – لا أعرف... من قبل.

جوزيان، التي لم تعد تستمع، تنظر بدورها حول الغرفة.

جوزيان – علينا أن ننظف قليلًا قبل أن نغادر. يا لكمية الغبار هنا!

إظلام.

الظهر

يدخل الأربعة من الخارج ويخلعون معاطفهم.

جوزيان (إلى جيف) – شكرًا على دعوتك يا جيف... إذن؟ ما رأيكم في المطعم؟

فريديريك – المكان لم يكن سيئًا...

جوزيان – أليس كذلك؟ كان «محليًا» جدًا. وصاحب المطعم كان له وجه لا يُنسى! ثم إننا أكلنا جيدًا... قياسًا بالسعر.

جيف – بالطبع ليس مطعمًا فاخرًا. لكن لا يوجد الكثير هنا.

جوزيان – واضح أن السمك لم يكن من صيد اليوم... غريب أن يقدموا سمكًا مجمدًا على بعد كيلومترات قليلة من البحر.

بيير (منزعجًا) – في المرة القادمة أنت تدعيننا، اتفقنا؟ وأنت تختارين المطعم.

جوزيان – أتمنى فقط ألا نمرض. مع الأطعمة المجمدة لا أحد يعرف. أحيانًا تنقطع سلسلة التبريد...

يتبادل بيير وجيف نظرة يائسة.

جوزيان – سأرى إن كان عندي «ألكا-سيلتزر». لا أشعر أنني بخير...

بيير – حسنًا، اذهبي.

فريديريك – أظن أن لدي واحدًا.

تتجه جوزيان وفريديريك إلى الغرف. صمت قصير.

بيير – لا تتحسن... يقال إن الابن الأكبر في كل عائلة يكون دائمًا أضعف نفسيًا...

جيف – كانت هكذا دائمًا. ولن تتغير في سنها.

بيير (مفكرًا) – كم عمرها أصلًا؟

لا يرد جيف.

بيير – حسنًا، ماذا نفعل هذا المساء؟(مازحًا) نذهب إلى ملهى ليلي؟

جيف – أنا رجل متزوج. لكن اذهب أنت إن أردت.

بيير – في هذا الفصل لا بد أن كل شيء مغلق. تتذكر؟ في العطلات كنا نمضي كل لياليا في الملاهي. كنت مقتنعًا بأنها أفضل مكان للتعارف. بما أن الجميع يأتي لهذا الغرض. منطقي إحصائيًا. ومع ذلك لم أتعرف قط إلى فتاة في ملهى. في مغسلة ملابس، في المترو، عند طبيب الأسنان... نعم. في ملهى؟ أبدًا.

صمت قصير.

بيير – ربما لا تجد الفتيات ذلك رومانسيًا بما يكفي. لقضاء ليلة مع غريب، ربما. لكن ليس للعثور على رجل العمر. والرجال الذين يأتون للمغازلة في الملهى مثلهن تمامًا لا يوحون بالثقة. ثم إنني لا أعرف زوجين متزوجين التقيا في ملهى. تعرف أنت؟

جيف – نعم... أنا التقيت كاترين في ملهى.

بيير (مفاجأ) – حسنًا... أظن أن الأفضل أن أذهب للقيلولة.

جيف – مشكلتك أنك تعمم دائمًا. حياتك ليست إحصاءات. الإحصاءات هي حياة الآخرين.

بيير (مندهشًا) – تعرف أن ما قلته الآن عميق جدًا؟

جيف (منزعجًا) – لا، لا أعرف طبعًا. عندما أقول شيئًا عاقلًا يحدث ذلك بالصدفة. لا أقصده. لحسن الحظ أنك هنا لتلفت نظري إليه.

بيير – آسف...

جيف – وهذه مشكلتك الأخرى يا بيير. تميل كثيرًا إلى اعتبار الناس حمقى.

ينهض جيف ليأخذ مجلة، ويقلده بيير. تعود جوزيان وفريديريك ومعهما مجلات أيضًا.

جيف (إلى جوزيان) – أفضل الآن؟

جوزيان – تقيأت كل شيء.

بيير (مستاءً) – إذن تحسنتِ...

جوزيان – ليس تمامًا. ما زلت أشعر أن قطعة التونة جاثمة على معدتي...

فريديريك – ربما حساسية. الحساسية من التونة الطازجة شائعة جدًا.

بيير – هذا هو إذن. كانت السمكة طازجة أكثر من اللازم.

يقرأ جيف مجلة «لو بوان»، وبيير «لا في فينانسيير»، وفريديريك «مادام فيغارو». تنهي جوزيان «لو شاسور فرانسيه» ثم تنتقل إلى «لو نوفيل أوبس». يرفع بيير عينيه من مجلته وينظر بدهشة إلى ما تقرؤه جوزيان.

بيير – تبحثين عن زوج؟

جوزيان (ضاحكة) – لا أدري إن كنت سأجد. في سني...

بيير (ساخرًا) – بين «لو شاسور فرانسيه» و«لو نوفيل أوبس» أنت تغطين طيفًا واسعًا... يجب أن تفتحي موقعًا على الإنترنت أيضًا، وهكذا تغطين الكوكب كله.

ترفع جوزيان عينيها عن الجريدة، وقد أخذت الفكرة بجدية.

جوزيان – تعتقد؟

لا يصدق بيير أن أخته فهمت مزاحه كاقتراح جدي.

بيير – طبعًا، تضعين صورتك ورسالة جذابة. ويمكنك حتى تعديل الصورة قليلًا. اليوم يفعلون أشياء مذهلة بالصور الرقمية...

جوزيان – ربما معك حق. عليّ أن أدخل عصر الوسائط المتعددة... لكن لا أعرف إن كنت سأعرف كيف. أنت تفهم في هذه الأشياء؟

قبل أن يرد بيير، يرن هاتف محمول. تقفز جوزيان إلى هاتفها.

جوزيان (متدللة) – لا بد أنه هاتفي... اشتريت واحدًا لنفسي لعيد الميلاد.(تضحك) يجب أن نواكب العصر...

ترد على المكالمة بشيء من الارتباك. من الواضح أنها غير معتادة على الجهاز.

جوزيان (منزعجة وهي تضغط الأزرار بعنف) – تبًا، كيف يعمل هذا الشيء أصلًا...؟

ينظر إليها بيير بإعجاب مذهول.

جوزيان (بلطف مصطنع وبصوت مرتفع جدًا) – ألو، نعم... نعم، أنا... صباح الخير... نعم... نعم، في الخمسينيات...

تدرك أن الآخرين يسمعونها رغمًا عنهم.

جوزيان – أعني، أقرب إلى الخمسين من الستين... نعم، صادفت إعلانك بالصدفة في «لو شاسور فرانسيه»... لا، أنا لا أصطاد. ربما تصفحت المجلة عند مصففة الشعر... مطلقة، نعم... وأنت؟(تتجمد) آه... ومن ماذا ماتت؟(تضحك) إن لم يكن السؤال شخصيًا، طبعًا... يا لها من معاناة لا بد أنها عانتها... أنا أقول إن الحالات كهذه يجب أن ينهوا عذابها بحقنة رحيمة...

ينظر إليها الآخرون مذهولين.

جوزيان – نعم، لا بد أن رحيلها ترك فراغًا... لا، ليس عندي حيوانات. عندي ابن فقط...(تضحك) لكنه يسبب فوضى أيضًا، تعرف... تحب الأطفال؟ لا، أظن أن الوقت فات قليلًا، أليس كذلك؟ في سننا، ربما لن يكون الطفل طبيعيًا تمامًا...

تبتعد جوزيان نحو الغرف كي تتحدث بحرية. لا نعود نسمع المكالمة.

بيير – يا للمسكين. تتخيلون؟ عندما يبلغ العاشرة ستكون أمه في السبعين تقريبًا!

فريديريك (معترضة) – هذا تفكير ذكوري بامتياز. الرجال لا يزعجهم أن يتركوا زوجاتهم في الخمسين ثم يشرعوا في إعادة إعمار الكوكب.

بيير (نصف جاد ونصف مستفز) – بالنسبة إلى الرجال، الأمر ليس نفسه تمامًا...

فريديريك (بعنف) – حقًا؟ ولماذا؟ أذكركم أن النساء يعشن أطول. إذن المنطقي أن يستطعن الإنجاب في سن أكبر.

بيير – الفرق أن الرجال في الخمسين ينجبون عادة من فتيات أصغر بكثير. وهكذا يتوازن المتوسط. أما جوزيان، فأظن أنها تستهدف كبار السن، أليس كذلك؟

فريديريك – وما أدراكم؟

يحاول جيف، محرجًا، أن يفهم بيير بالإشارة أن من الأفضل تغيير الموضوع، لكن بلا جدوى.

بيير – لا أظن أن كثيرًا من الشباب في العشرين ينشرون إعلانات زواج في «لو شاسور فرانسيه»...

تبدو فريديريك متأثرة أكثر مما ينبغي بهذا الحديث، وكأنه يمسها شخصيًا.

فريديريك – أنتم الرجال كلكم سواء!

تغادر فريديريك.

بيير (مندهشًا) – لم أكن أعرف أنها نسوية إلى هذا الحد! ما الذي أصابها؟ وأنا لا يهمني إن أرادت جوزيان أن تنام مع شباب أصغر منها.

جيف – أظن أن المشكلة بالأحرى هي الرجال في الخمسين الذين يخونون زوجاتهم مع فتيات أصغر سنًا. الأفضل أن نتجنب الموضوع...

يحاول بيير، مستغربًا، أن يفهم. تعود جوزيان وفريديريك.

جوزيان – في أي ساعة موعدنا؟

جيف – الوكالة قالت الثالثة.

جوزيان (شاردة) – ثمانمئة ألف فرنك... في النهاية ليست ثروة كبيرة. خصوصًا إذا قسمت على أربعة...

بيير – لا تقلقي. ما زال بإمكان أحدنا أن يموت قبل هذا العصر.

جوزيان (تمسك رأسها) – وقد أكون أنا. لا أشعر أنني بخير حقًا.(تحاول أن تضحك) لم تسممونني، أليس كذلك؟

تتوقف جوزيان أمام صورة الأطفال الأربعة فوق المدفأة.

جوزيان – ماذا سنفعل بهذه الصورة؟

ينظر إليها الآخرون دون فهم.

جوزيان – لا يمكن أن نتركها هنا بعد بيع البيت. من سيأخذها؟

فريديريك – يمكن أن نطلب نسخة أخرى منها...

جوزيان – تعتقدين أن النيغاتيف لا يزال موجودًا بعد كل هذه السنوات؟

بيير (ساخرًا) – نقطعها إلى أربعة. كل واحد يأخذ صورته.(إلى جوزيان) ويمكنك مسح صورتك ضوئيًا ووضعها على موقعك لجذب بعض المنحرفين...

جوزيان (تنظر إلى الصورة ولا تلتقط السخرية) – سيكون من المؤسف أن نقطعها. إنها صورة جميلة.

بيير – معك حق. تبدو زينة لطيفة فوق المدفأة...

جوزيان – نعمل قرعة. انظروا، هناك علبة أعواد ثقاب.

يبدو الآخرون مصدومين، لكن ليس بما يكفي للاعتراض. تكون جوزيان قد التقطت بالفعل علبة الثقاب الموضوعة بجوار الصورة. تأخذ أربعة أعواد، تكسر ثلاثة منها، ثم تستدير وقد أخفت الأطراف في يدها.

جوزيان (بحماس) – من يسحب العود ذا الرأس الأحمر يفوز... جيف، ابدأ.

يمتثل جيف بلا حماس، ويسحب عودًا بلا رأس أحمر.

جوزيان – دورك يا فريديريك!

تسحب فريديريك بدورها، بين الأمل في الفوز والشعور بأن الأمر سخيف قليلًا. يراقب بيير المشهد بذهول. تسحب فريديريك عودًا بلا رأس أيضًا. تظهر على وجهها خيبة طفولية سرعان ما تغطيها بابتسامة مصطنعة.

جوزيان (بحماس متزايد) – والآن يا بيير، بقيت أنا وأنت.

ينهض بيير بلا اكتراث.

بيير – أليست هناك قصة مشابهة في الكتاب المقدس؟ جنود أو لصوص يقترعون على الكفن المقدس بالنرد؟

فريديريك (ساخرة) – لم أكن أعرف أنك تقرأ الكتاب المقدس...

بيير (بجفاف) – ثقافة عامة.

يسحب بيير العود ذا الرأس الأحمر. تظهر على وجه جوزيان خيبة طفولية؛ فهي لا تحب الخسارة.

جوزيان – تبًا! لا حظ لي في الألعاب أبدًا!

يخرج بيير سيجارة ويشعلها بوضوح بعوده الفائز. يسحب نفسًا برضا. تراقبه جوزيان.

جوزيان – أنت تدخن الآن؟

بيير – نعم... منذ نحو عشرين سنة. لم تلاحظي؟

جوزيان – قرأت في مجلة قبل أيام أن كل سيجارة تقصر العمر عشر دقائق.

بعد صمت، إلى بيير.

جوزيان – وكم سيجارة تدخن في اليوم؟

بيير – حسب حساباتي كان يجب أن أموت منذ ستة أشهر. لا أفهم ما الذي حدث.

جوزيان – وأنت يا فريديريك؟ لا تدخنين؟

فريديريك – أحيانًا. سجائر خفيفة.

بيير – فريديريك حتى لو دخنت الحشيش، ستختار النوع «الخفيف».

جوزيان – السجائر الخفيفة ضارة مثل غيرها، وربما أكثر.

بيير – لا أذكر من كان يقارن الحياة بزجاجة خمر قوية أو شيء من هذا القبيل. كل واحد يحصل على زجاجته عند الولادة. بعضهم يشرب قطرة صغيرة كل يوم للهضم، وبعضهم يفرغها دفعة واحدة ويسكر سكرة محترمة.

فريديريك (ساخرة) – أليس هذا للافونتين في «الصرصور والنملة» مثلًا؟

بيير – الموضوعات الكبرى عالمية... ويمكن للمرء طبعًا أن يكون صرصورًا ثم نملة بالتناوب. في السبعينيات كنت أنت أيضًا ترتدين مثل الهيبيز، ألا تتذكرين؟ كان لديك حبيب بشعر طويل يعزف الغيتار. ما كان اسمه؟ آه نعم، بول! كان معلمًا. وربما كنت يسارية قليلًا في ذلك الوقت. وربما دخنت حتى لفافات حشيش بلا مرشح...

فريديريك – كل لفافات الحشيش لها مرشحات.

بيير – كنت أختبر ذاكرتك فقط... نعم، غنى بول بضعة فصول صيف، وفي الشتاء التالي تزوجت طبيب التخدير.

فريديريك – اسمه جيروم.

بيير – كاربنتييه، نعم. «فريديريك كاربنتييه» يرن أرقى من «فريديريك فرناندين»...

فريديريك – كنت تريد أن أبقي اسم عائلتي قبل الزواج؟ إذا كنت تقصد أصولنا الإسبانية، فأنا لا أتباهى بها.

بيير – مع ذلك، كان يمكنك أن تعلمي أولادك أنهم، من بعيد، أقرباء للخادمة البرتغالية التي تعمل عندكم. يبدو أنهم يظنون أن عاملات المنازل جنس مختلف.

فريديريك – أنت تهذي!

بيير (ضاحكًا) – تعرفين مما نجوتِ؟ أبي سمّى جيف «خيسوس»، وكان يستطيع أن يسميك «مرسيدس». كان سيصبح مضحكًا أن تحملي الاسم نفسه الذي تحمله سيارة زوجك.

تبدو جوزيان أسوأ فأسوأ، لكن لا أحد ينتبه إليها وسط احتدام الجدال.

جوزيان – يا إلهي... الدنيا تدور بي... رأسي كالبطيخة...

بيير – لقد تغيرتِ كثيرًا منذ السبعينيات. أتذكر استفتاء ديغول عام1969؛ تشاجرتِ مع أبي لأنه كان سيصوت بنعم. قلتِ إن الاستفتاء «تصويت شخصي لتكريس الزعيم». لا بد أنك تعلمت كلمة «استفتاء شعبي» في المدرسة في اليوم السابق. لكنني أُعجبت بك: تجرأتِ أن تقولي أمام أبي إن ديغول ديكتاتور. كنت أفتخر بك وقتها...

فريديريك – لا يمكن أن يبقى الإنسان مراهقًا طوال حياته. ثم لا يمكن القول إنك أنت أصبحت هامشيًا. في ذلك الوقت كنت تقرأ مجلة «روك أند فولك». والآن تقرأ «لا في فينانسيير»...

بيير – لكنني لا أصوت للجبهة الوطنية...

فريديريك – كفى! كانت مرة واحدة! تصويتًا احتجاجيًا...

بيير – كان بإمكانك الاحتجاج بالتصويت للرابطة الشيوعية الثورية، أو حتى لـ«الطيران اليوغي». لماذا الجبهة الوطنية تحديدًا، ما دمت لا توافقين أفكارها أصلًا؟

فريديريك – لست مضطرة إلى تبرير نفسي.

جيف (لتهدئة الجو) – حسنًا، يمكننا أن ننطلق...

بيير (ينظر إلى ساعته) – بقيت ساعة!

جيف – إذا كنا سنقضيها في الشجار...

جوزيان (بصوت ضعيف) – معه حق. ما دمنا اجتمعنا جميعًا للمرة الأولى منذ زمن، كان يمكنك أن تبذل قليلًا من الجهد يا بيير!

بيير – لا! سئمت بذل الجهد. ثم كفى من كلمة «اجتمعنا»! ما الذي يجمعنا؟ جئنا لاستلام شيكاتنا. بعد ساعة سنحصل عليها. ثم يذهب كل واحد في طريقه، وعلى الأرجح لن نرى بعضنا أبدًا. كفى نفاقًا!

جيف – الشجار لن يفيد.

بيير – اسمع يا جيف. أنت طيب، نعم، لكن انزل قليلًا إلى الواقع! تعرف ماذا تقول عنك أختاك العزيزتان من وراء ظهرك؟ تقولان إنك «طيب» فعلًا، لكنك أغرقت شركة أبي لأنك لا تستطيع الاستيقاظ صباحًا.

يتجمد جيف في مكانه.

فريديريك (تنهض) – لم أقل ذلك قط!

بيير – صحيح. مثل السياسة تمامًا، لا تملكين حتى شجاعة آرائك. جوزيان على الأقل تقول ما تفكر فيه.

جوزيان (تروّح عن نفسها بمجلة «لو شاسور فرانسيه») – ربما الأفضل أن أخرج لأتنفس قليلًا...

فريديريك – انتظر، ومن تكون أنت حتى تلقن الجميع دروسًا؟

بيير – ربما لم أنجز شيئًا عظيمًا، لكن ما لدي لم أحصل عليه بمجرد أن قلت «نعم» أمام موظف البلدية في حفل زواج.

فريديريك (مصدومة) – ماذا تقصد تحديدًا؟

بيير – تظنين نفسك أرفع منا لأن عندك عشبًا إنجليزيًا، ومدفأة ريفية، وعوارض خشبية مكشوفة. لكن بعيدًا عن أنني أجد حياة «حديثي النعمة» التي تعيشينها بائسة، ماذا فعلت لتحصلي على كل هذا؟ تزوجت طبيب تخدير وأنجبت له طفلين سيئي التربية! الحياة ليست تخديرًا عامًا...

فريديريك (تنهض لمواجهته) – وأنت، ماذا فعلت في حياتك من شيء خارق؟ تعتبر نفسك كاتبًا لأنك ترجمت ثلاث روايات رومانسية رخيصة، وكاتب سيناريو لأنك كتبت بضعة مسلسلات كوميدية سخيفة.

بيير – أولادك هم من يشاهد هذه المسلسلات السخيفة. وتلك الروايات الرومانسية، لو لم تكوني تخجلين من شرائها لكنت تقرئينها أيضًا. بل لا حاجة لك، حياتك كلها رواية من «هارلكوين». لاحظتِ أن روايات «السلسلة البيضاء» تنتهي عندما تتزوج الممرضة الشابة الطبيب الثري؟ لا شيء عن الحياة المثيرة لزوجة أحد وجهاء البلدة بعد ذلك. وإلا دخلنا في «مدام بوفاري»...

فريديريك – وأنت بالتأكيد لن تتزوج قريبًا... عشت دائمًا أنانيًا. أتساءل أي امرأة قد ترغب فيك. ستنتهي أعزب عجوزًا...

بيير – أفضل أن أنتهي أعزب عجوزًا على أن أنتهي عجوزًا أحمق.

فريديريك – الاثنان لا يستبعد أحدهما الآخر...

تبدو جوزيان على وشك الإغماء، لكن أحدًا لا يلاحظ.

جوزيان – أخشى أن يغمى عليّ... أذناي تطنان...

بيير – ما لا أحتمله فيك ليس أن مستوى معيشتك أكبر بكثير من مستوى ذكائك، بل أنك ما زلت تجدين طريقة للقول إن الحد الأدنى لأجور العمال العرب الذين يجمعون قمامتك يثقل ميزانية عطلاتك. عطلاتك في «كلوب ميد»، مع رحلات منظمة قليلة خارج المنتجع لمشاهدة عادات «السكان المحليين»، ومن دون النزول من سيارة الدفع الرباعي... مثل جولة سفاري في حديقة «تواري».

يتبادل بيير وفريديريك نظرات تحدٍ. فجأة تنهار جوزيان. يلتفت إليها الثلاثة أخيرًا، مذهولين، ويسرعون نحوها.

فريديريك – جوزيان؟ هل أنت بخير؟

تصفع فريديريك أختها على الخدين بقوة متزايدة كي توقظها. تستجيب جوزيان قليلًا لكنها تبقى شبه فاقدة للوعي.

بيير – ربما الأفضل أن نأخذها إلى المستشفى.

إظلام.

بعد الظهر

يعود الأربعة. تسند فريديريك جوزيان بذراعها.

جوزيان – أنا بخير الآن، فعلًا.

جيف – ربما عليك أن تستلقي قليلًا، أليس كذلك؟

جوزيان – علينا أن نعود إلى كاتب العدل. لا بد أننا تأخرنا أصلًا. وأنتم تحتاجون توقيعي.

جيف – اتصلت بالوكالة وأجلت الموعد. يمكنك أن ترتاحي.

جوزيان – حسنًا...

تتجه جوزيان إلى الغرفة برفقة فريديريك.

بيير – تعتقد أن شجارنا هو الذي أوصلها إلى هذه الحالة؟ لم أكن أعرف أنها حساسة إلى هذا الحد...

جيف – لا أفهم. أنا أيضًا أكلت التونة ولم يحدث لي شيء... ربما فريديريك محقة، قد تكون حساسية.

بيير – لو كانت تتحسس من التونة، ففي سنها كانت ستكتشف ذلك منذ زمن. ليست أول مرة في حياتها تأكل تونة. لو كان الطبق شريحة باندا بزيت الأوكالبتوس، لفهمت. لكن قطعة تونة بصلصة بروفنسالية...

جيف – ماذا قال الطبيب؟

بيير – لا أعرف. فريديريك كانت معها.

تعود فريديريك.

جيف – إذن؟ حساسية؟

فريديريك – لا...

بيير – تسمم غذائي؟

فريديريك – لا علاقة للأمر بما أكلته...

يبدأ الآخران بالفضول.

جيف – كنت أشك في ذلك قليلًا...

بيير (ساخرًا) – فما الأمر؟ أول أعراض سن اليأس؟

فريديريك – جوزيان مصابة بالنكاف... أعطاها الطبيب علاجًا.

جيف (مندهشًا) – النكاف؟ أليس مرضًا يصيب الأطفال؟

بيير (مازحًا) – وماذا في ذلك؟ بالنظر إلى عمرها العقلي...

أمام نظرات الاستنكار من الاثنين، يحاول بيير التخفيف من حدة مزاحه.

بيير – حسنًا، كفى... لن تموت من ذلك.

فريديريك – لا، لكن جيروم يقول إن أمراض الطفولة عندما تصيب البالغين قد تسبب مضاعفات.

جيف – أي مضاعفات؟

فريديريك – مثل تشوهات الجنين لدى الحوامل في حالة الحصبة الألمانية...

بيير (ضاحكًا) – إذا كان هذا كل شيء... مع جوزيان...

فريديريك (بخبث) – أما النكاف فقد يسبب التهاب الخصيتين، وأحيانًا عقمًا دائمًا.

يتجمد بيير ويستوعب المعلومة. صمت.

بيير (إلى جيف، متظاهراً باللامبالاة) – أصبت بالنكاف عندما كنت صغيرًا؟

جيف – نعم... وأنت لا؟

بيير – لا أعرف...

تعود جوزيان. يتراجع بيير خطوة غريزيًا.

جوزيان – لم أستطع النوم، لذلك...

جيف – لدينا وقت. قلت لهم إننا سنكون هناك نحو الخامسة.

يرن هاتف جوزيان. ترد بصوت عالٍ كعادتها وباللطافة المصطنعة نفسها التي استعملتها في المكالمة السابقة.

جوزيان – ألو، نعم... نعم، أنا... صباح الخير...(تغير نبرتها وتصبح طبيعية) آه، عذرًا يا باسكال، لم أعرف صوتك. كيف حالك؟(مفزوعة) زوجتك؟ حادث سيارة؟ يا إلهي، آسفة جدًا... آه، فهمت... وكم كان عمرها؟ آه، ليس كثيرًا... وهل ماتت فعلًا؟ حسنًا، إذا قالوا لك ذلك... اسمع، التأمين سيعوضك حسب السعر الرسمي للسيارات المستعملة... كم كان عدد الكيلومترات على العداد؟ كثير فعلًا... وزوجتك، هل أصابها شيء؟ لا؟ فهذا هو الأهم! لم تكن هي المخطئة، أليس كذلك؟ إن لم يعد مسموحًا حتى بالتوقف في ممر الطوارئ للرد على الهاتف، فعليهم أن يقرروا ماذا يريدون... الجمعة؟ نعم... اتفقنا يا باسكال... إلى اللقاء.

تغلق الهاتف.

جوزيان – كان طبيب أسناني.

ينظر إليها الآخرون بذهول. تنتبه جوزيان إلى ذلك.

جوزيان – أعني أنني أسميه طبيب أسناني لأنه طبيب أسنان. نحن نمثل في المسرح معًا...

لحظة ذهول.

جيف – تمثلين في المسرح مع طبيب أسنانك؟

جوزيان – نعم، كهواة. يُخرج مسرحية موليير «النساء العالمات».

فريديريك – طبيب أسنانك «يُخرج النساء العالمات»؟

جوزيان – نعم.

بيير – طبيب أسنان يمارس المسرح... كنت أظن أن ذلك مستحيل وراثيًا. لا بد أنه طفرة جينية.

فريديريك – متأكدة أنه طبيب أسنان؟

بيير – لن يدعي ذلك للتفاخر على أي حال... ثم إذا كان لا «يُخرج» إلا النساء العالمات، فلا داعي للقلق عليه...

جوزيان – أنا قلقة على أسناني الأمامية. ثبّتها بالإسمنت، لكنني لا أعرف كم ستصمد. ماذا نفعل... كلنا أسناننا رديئة في العائلة.

بيير – عيب وراثي آخر أخذناه من والدينا.

فريديريك – مع الميراث يمكنك أن تدفعي ثمن زرعات. مثلي...

جوزيان – للثديين؟

فريديريك – للأسنان!

جوزيان – آه... ومع ذلك لا أعرف إن كان الأمر يستحق. بعد الستين تبدأ تعيش على حلول مؤقتة. عندما تصلح جزءا منك يصبح الأمر مثل السيارة: تقول لنفسك، إذا صمد بضع سنوات، فربما تتعطل قطعة أخرى قبل ذلك...

بيير – طريف، لم أكن أعرف أن لديك هذا الشغف بالسيارات...

جيف (ينظر إلى ساعته) – حسنًا، هذه المرة علينا أن نذهب فعلًا. جوزيان، متأكدة أنك بخير؟

جوزيان (تنهض بحيوية) – طبعًا! لم أمت بعد! على الأقل ليس قبل أن أحصل على الميراث...

جيف – معك دفتر العائلة الخاص بوالدينا؟ كاتب العدل أراد نسخة منه...

تفتش جوزيان في حقيبتها وتخرج الوثيقة وتلوح بها.

جوزيان – هنا!

بيير (بفضول) – يمكنني أن أراه؟

تتردد جوزيان لحظة.

جوزيان – لماذا؟

ينظر إليها الآخرون، وقد أثار ترددها فضولهم أيضًا.

بيير – لا أعرف، لم أره قط. ولست متأكدًا حتى أنني أعرف الاسم الثالث لجدتي من جهة أبي...

تناوله جوزيان دفتر العائلة، فيقلب صفحاته بينما يستعد الآخرون للخروج.

بيير – أراهن أنكم لا تعرفون حتى في أي ساعة وُلدت... أنتم أصلًا لا تتذكرون تاريخ ميلادي...

يتجاهل الآخرون سخريته. يواصل تقليب دفتر العائلة، وفجأة تختفي ابتسامته.

بيير (يقرأ) – الطفل الخامس...

يلتفت بيير، الذي لم يعد يمزح، إلى الآخرين. وقد تجمدوا بدورهم.

بيير – كنتم تعرفون أننا كنا خمسة أطفال؟

جوزيان (بعد صمت) – نعم...

فريديريك – أظن ذلك... لم أكن متأكدة...

جيف، الذي لا يبدو متأثرًا جدًا بعد، يفتش جيوبه.

جيف – أين وضعت مفاتيحي هذه المرة...؟

بيير – هذا كل ما يثيره فيك أن تعرف فجأة أنه كانت لك أخت صغيرة وأنها ماتت؟

يتوقف جيف عن البحث عن مفاتيحه، مدركًا ثقل المعلومة. تنحني فريديريك فوق كتف بيير لتقرأ دفتر العائلة.

فريديريك – إيميلي. توفيت في... كان عمرها خمسة عشر يومًا...

بيير – خمسة عشر يومًا مدة طويلة... تكفي كي يتعلق المرء بطفل...(إلى جوزيان) وأنت كنت تعرفين؟ لماذا لم تخبرينا قط؟

جوزيان – أمي لم تكن تتحدث عنها أبدًا... وما الذي كان سيتغير؟

إظلام.

المساء

يدخل الإخوة الأربعة من الخارج. يخلعون معاطفهم في صمت. يجلس بيير وفريديريك.

جوزيان (بمرح مصطنع) - حسنًا... ألا يستحق الأمر نخبًا؟

ينظر إليها الآخرون. الجو ثقيل. هم بين الرضا لأنهم أنهوا مسألة مهمة، والإحساس بأن صفحة من حياتهم قد طويت. جوزيان، التي لا تبدو واعية بهذه الدقائق، تفتش في خزانة.

جوزيان - أظن أنني رأيت زجاجة نبيذ فوار هنا. لن نتركها للمشترين. قد تكون فاترة قليلًا، لكن...

تخرج الزجاجة من الخزانة، ثم أربعة كؤوس.

فريديريك (مترددة) - أظن أنني سأمتنع. النبيذ الفوار لا يناسبني كثيرًا...

جوزيان (تفتح الزجاجة) - هيا، ستشربين معنا!

تصب لها كأسًا من دون أن تنتظر موافقتها. تتركها فريديريك تفعل، ثم توزع جوزيان بقية الكؤوس.

بيير (ساخرًا) - نشرب نخب ماذا؟

جيف (من دون فرح) - نخب البيع.

جوزيان - نخب شيكاتنا!

يتصادمون بالكؤوس.

جوزيان - كان لطيفًا، ذلك المعالج الطبيعي...(إلى جيف) متزوج؟

جيف - لا أظن...

فريديريك - بدا متأنثًا قليلًا، ألا ترون؟

جوزيان - على أي حال، كنت سأطلب منه بكل سرور بعض جلسات التدليك... لكن سيكون من المؤسف أن أنقل له النكاف. يقال إنه عند الرجال أحيانًا... أليس كذلك يا فريديريك؟

بيير (منزعجًا) - حسنًا، كفى...

فريديريك - على أي حال لم يكن كبير السن. غريب أن يشتري بيتًا ريفيًا في سنه...(متأثرة) غريب أن نفكر أن هذا البيت بيع، وأننا لن نعود إليه...

جيف - نعم. كان الصيف هنا جميلًا...

بيير – أصلًا مرّ زمن طويل منذ كنا نأتي إلى هنا كثيرًا...

فريديريك – وعلى أي حال، مرّ زمن طويل منذ جئنا نحن الأربعة معًا...

جوزيان – أربعة عشر عامًا.

ينظر إليها الآخرون بدهشة.

جوزيان (بابتسامة جامدة) – آخر مرة اجتمعنا هنا نحن الأربعة كانت قبل أربعة عشر عامًا.

يبقى الثلاثة الآخرون مذهولين من دقة ذاكرتها؛ فهي تكشف عن حساسية لا تظهرها عادة.

جوزيان – احتفلنا بعيد ميلاد برونو. ما زال يذكره عندما نشاهد الصور. أقمنا له حفلة جميلة... كان ذلك قبل طلاقي بعام... وأنا أيضًا في ذلك الوقت كنت أتمنى أن أراكم أكثر.

يصمت الآخرون بحرج، فيما تحافظ جوزيان على ابتسامتها.

جوزيان – ستعودين هذا المساء يا فريديريك؟

فريديريك – نعم، مبدئيًا... لكنني لست مضطرة. تذكرتي مفتوحة ويمكنني تغيير موعد العودة...

جيف – يمكنك البقاء معنا حتى الغد. نوصلك إلى المطار في طريقنا.

بيير (ساخرًا) – لكن إن كنت مستعجلة حقًا فاذهبي... الجميع يعرف أنك مشغولة جدًا...

جيف (بحزم) – بيير...

يشير بيير بأنه استسلم.

فريديريك – حسنًا، موافقة.

جوزيان – ممتاز! هكذا نقضي المساء معًا... كأسرة.

صمت.

بيير – تريدون الذهاب إلى مطعم؟ اليوم يوم كرمي. أعزمكم على حساب شيكي...

فريديريك – يا للكرم...

يبذل بيير جهدًا كي لا يرد على الاستفزاز.

بيير – لكن ليس مطعم الظهر، على أي حال... صحيح أنه كان مقرفًا نوعًا ما. من يفتح مطعمًا في مكان كهذا أصلًا؟

جوزيان – أليس ألطف أن نأكل هنا؟ ستكون المرة الأخيرة.

جيف – نأكل ماذا؟

جوزيان – سنجد شيئًا. نفرغ الخزائن.

يفتش جيف الخزانة ويخرج ما يجده.

جيف (كأنه نادل في مطعم فاخر) – سباغيتي معتّقة عشر سنوات، ترافقها صلصة معلبة على وشك انتهاء صلاحيتها.

جوزيان – ونحن أيضًا بدأنا نتجاوز تاريخ الصلاحية.

تختفي فريديريك في المطبخ بالمؤن، وتتبعها جوزيان. يبقى بيير وجيف وحدهما. صمت قصير.

بيير – عرفت أمر الشركة... ماذا ستفعل؟

جيف – لا أعرف. ما زالت هناك أمور كثيرة يجب تسويتها.

صمت.

جيف – إذن أنت أيضًا تعتقد ذلك. أنني أغرقت الشركة لأنني لم أكن أهلًا لها؟

بيير – أعتقد أن هذه الشركة لم يكن يمكن أن تسير إلا مع شخص يقبل أن يمنحها خمس عشرة ساعة يوميًا. مثل أبي. لكن أبي كان من زمن آخر. أنت لم تكن تريد تلك الحياة، وهذا طبيعي. ولا واحد منا كان سيقبل بها.

جيف – ما كان يجب أن أقبل أن أخلفه.

بيير – كان لا بد من كبش فداء...

صمت قصير.

جيف – ربما أفتح مطعمًا...

بيير (مذهولًا) – مطعم؟ أنت لا تعرف حتى سلق السباغيتي...

جيف – ليس مطعمًا فاخرًا. أفكر في بيتزا. لصنع البيتزا لا يلزم أن تكون طاهيًا كبيرًا. ثم سأوظف عاملين طبعًا.

بيير (قلقًا) – لديك مشروع محدد أصلًا؟

جيف (مترددًا) – نعم... المطعم الذي أكلنا فيه ظهرًا. صاحبه يريد بيعه. لهذا أخذتكم إليه، لأعرف رأيكم.

يصمت بيير بحرج.

جيف – إذن؟

بيير – لماذا هنا؟

جيف – ولم لا؟ كاترين وأنا سئمنا ضواحي باريس. وسيكون المكان جيدًا للأطفال. هناك شقة فوق المطعم. سنعيش في هواء الريف. وبما أن الشركة ستغلق... لا بد أن أبدأ من جديد في شيء آخر. ما رأيك؟

بيير (محرجًا) – حسنًا... الموقع ليس ممتازًا، أليس كذلك؟

جيف – بجوار محطة القطار.

بيير – يمر قطاران فقط في اليوم.

جيف – وهناك شرفة خارجية.

بيير – نعم، محشورة بين السكة الحديدية والطريق الوطني. مؤسف قليلًا في الريف. ثم الشرفة تصلح فقط عندما يكون الطقس جيدًا. هنا في الصيف لا بأس، لكن بقية السنة لا يأتي أحد تقريبًا، أليس كذلك؟ ظهر اليوم لم نكن نتزاحم على الطاولات... برأيك لماذا يريد المالك أن يبيعه؟

جيف (محبطًا من فتور أخيه) – بهذا المنطق لن يفعل الإنسان شيئًا أبدًا... يجب أن تجلب الزبائن وتجعلهم يعودون، طبعًا. لكن لا توجد أي بيتزا في المنطقة. أنا متأكد أنه يمكن أن ينجح. كوننا قرب البحر لا يعني أن الناس تريد أكل السمك كل يوم.

بيير – ولا البيتزا كل يوم...

صمت قصير.

بيير (يزداد قلقه) – هل التزمت بالفعل في صفقة المطعم؟

جيف – وقعت وعد الشراء... عرفت أن المطعم للبيع عندما جئت لأهتم بالبيت. كان علينا أن نتحرك بسرعة. فاتخذنا القرار...

بيير – وماذا تريد مني أن أقول الآن؟ إذا كنت تريد رأيي، لماذا لم تسألني قبل أن توقع؟

جيف (غاضبًا) – لأنني كنت متأكدًا أنك ستنتقد! أنت تعرف كل شيء دائمًا. وكل شيء ينجح معك.

بيير (متنهدًا) – كفى. منذ أكثر من سنة لم أكتب شيئًا، أو على الأقل لم أبع شيئًا مما كتبته... أنا فقط لا أحب الشكوى. لكنني عرفت فشلًا كثيرًا، صدقني. وليس في العمل فقط...

يرى بيير أن أخاه مجروح.

بيير – آسف يا جيف. طلبت رأيي فأعطيتك إياه. لكنني لست خبيرًا في المطاعم. قد أكون مخطئًا. وأنا أتمنى فعلًا أن أكون مخطئًا...

يهدأ التوتر.

بيير – إذن أنت أيضًا ترى، مثل فريديريك، أنني أناني ومغرور؟

جيف – أظن أنك تحتاج فقط إلى قليل من التسامح... وأن تحاول فهم الآخرين...

بيير – أعرف. ما كان يجب أن أتكلم مع فريديريك بهذه الطريقة قبل قليل.

جيف – كنت دائمًا شوكة العائلة المزعجة... لكن معك حق في شيء: ليس جيدًا أيضًا أن نقبل كل شيء ونصمت دائمًا.

بيير – كنت أتمنى فقط أن نبقى أقرب إلى بعضنا. وأن نكون أكثر تضامنًا.

جيف – لم نكن متضامنين جدًا أصلًا... أنت فقط لا تتذكر جيدًا. عندما كنا أطفالًا كنا نفعل أسوأ المقالب ببعضنا. مرة طاردتنا في الحديقة بمطرقة... لم أخف في حياتي مثل ذلك اليوم. أتذكره دائمًا عندما أسمع أغنية كلود فرانسوا...

ينظر إليه بيير دون أن يفهم.

جيف (يغني) – لو كانت عندي مطرقة...

بيير (يكمل) – لضربت أبي وأمي وإخوتي وأخواتي...(مع جيف معًا) أوه، أوه! يا لها من سعادة...

جيف (بجدية أكبر) – كنت أريد أن أسألك منذ زمن. لو أمسكت بي يومها، هل كنت فعلًا ستهشم جمجمتي؟

يتظاهر بيير بأنه يفكر.

بيير – لا أظن. لكنني كنت سعيدًا جدًا لأنني أخفتكم. كنت الأصغر. للمرة الأولى كان أحد يخاف مني؛ كان شعورًا مسكرًا. بعد ذلك قالت فريديريك إنني مجنون. قالتها بثقة جعلتني أتساءل سنوات إن كنت مجنونًا فعلًا. أحيانًا ما زلت أتساءل... معك حق، نحن الأربعة لم نتفاهم يومًا بهذا القدر. «الزمن الجميل» مجرد أسطورة. في النهاية لم يتغير شيء...

جيف – ما تغير هو أننا في ذلك الوقت كنا مضطرين إلى تحمل بعضنا. بعد بيع البيت لن يجبرنا شيء على ذلك. الآن بالذات علينا أن نتعلم كيف نتفاهم... إذا أردنا لأولادنا أن يكون لهم أعمام وعمات.

بيير – أولادنا... ماذا بقي مشتركًا بيننا؟

جيف – لا شيء. لا شيء لا يمكن تقسيمه على أربعة.

بيير – نادم لأننا بعنا البيت؟

جيف – فات الأوان على أي حال.

بيير – كان الأوان قد فات حتى قبل أن نوقع، أليس كذلك؟ لا أرى نفسي أقضي عطلة الصيف هنا مع جيروم وهو يندب عجز الضمان الاجتماعي الفرنسي والضرائب التي «تخنق» أصحاب المهن الحرة... والغريب أنه لم يربط الأمرين قط. فإذا كان الضمان الاجتماعي في عجز، فذلك لأن أمثالهم يكسبون أكثر مما ينبغي، أليس كذلك؟

فجأة تنطفئ الأنوار.

جيف – تبًا، انقطاع كهرباء.

بيير – هناك أعواد ثقاب فوق المدفأة.

جيف – ما نحتاجه هو الماء...

بيير – ماذا؟

جيف – أعطني زجاجة الماء على الطاولة.

يناوله بيير الزجاجة من دون أن يفهم. يملأ جيف خزان مصباح الكربيد الموضوع فوق المدفأة، يشعل عود ثقاب ويشغل المصباح. يضيء الغرفة نور خافت.

بيير – ما هذا الشيء؟

جيف – ألا تتذكر؟

بيير – لا...

جيف – كان المطر قد هطل طوال اليوم، وهذا نادر هنا في أغسطس. قرر أبي أن يأخذنا لجمع الحلزون. وجرّنا إلى كل متاجر الأدوات في المنطقة بحثًا عن هذا الجهاز.

بيير – آه نعم، مصباح الكربيد...

جيف – مع أن لدينا مصباحين أو ثلاثة يعملون بالبطارية في البيت. لا أعرف لماذا كان يحتاج مصباح كربيد لجمع الحلزون. ربما كان يذكره بشبابه.

بيير – كيف يعمل؟

جيف – الكربيد يشبه الفحم. ينزل الماء عليه قطرة قطرة، فيطلق غازًا يشتعل.

بيير – لم أكن أذكر هذا.

جيف – وفي النهاية لم تأتِ معنا. أبي أيقظنا في الرابعة، لكن في ذلك الصباح كنت أنت من لم يستطع النهوض من السرير...

صمت قصير.

جيف – ذهبنا نحن الاثنين. كان الأمر طريفًا. كان يتكلم بصوت منخفض كأنه يخشى أن تهرب الحلزونات إذا سمعتنا نقترب. عدنا بدلو ممتلئ... وفي الصباح التالي كانت الحلزونات في كل أرجاء البيت. نسينا أن نضع غطاء على الدلو. لا يبدو ذلك، لكن الحلزون يقطع مسافة كبيرة في ليلة واحدة...

صمت قصير.

جيف – أظن أن أبي كان محبطًا لأنك لم تأتِ معنا...

تعود الكهرباء.

بيير – لم يطل الانقطاع.

يطفئ جيف المصباح. صمت. يغيّر بيير الموضوع بحرج.

بيير – وكيف حال عائلتك الصغيرة؟

جيف – كاترين بدأت تدريبًا كمساعدة محاسب. هكذا ستتولى حسابات المطعم. أظن أنني لست بارعًا جدًا في هذا...

بيير – وأولادك؟ لم أرهم منذ زمن...

جيف – بخير.

بيير – طريف. لا أقول هذا لمجاملتك، لكنني لم أرَ أطفالًا مؤدبين مثلهم قط.

جيف – لأنك لا تراهم كثيرًا...

بيير (مبتسمًا) – أنت محق. كان يجب أن نستطيع اختيار أولادنا... والأولاد يختارون والديهم.

جيف (مستمتعًا) – تعرف أن ما قلته للتو غبي جدًا؟

بيير – أعرف. لأنني لا أملك أولادًا. بل يخيفني أن أنجب طفلًا. خصوصًا ولدًا... ماذا لو كان يشبهني؟ لست متأكدًا أنني سأعرف كيف أشرح له لماذا تستحق الحياة أن تُعاش. في النهاية أنا مثل أبي. لن أعرف كيف أقول ذلك لابني...

جيف – وربما تكون بنتًا...

ينهض بيير وقد بدا عليه الاضطراب.

بيير – عذرًا، عليّ أن أجري مكالمة.

يخرج هاتفه ويهم بالمغادرة. وبما أن جيف يتجه نحو الغرف، يبقى بيير في الصالة.

بيير – أنا... نعم، أعرف... لكنه لم يكن الوقت المناسب لأخبرهم. تشاجرت مع أختي من جديد... كالمعتاد، لكن هذه المرة أخرجت كل ما كان عالقًا في حلقي. ما كان يجب أن أفعل، لكن الأمر يريح... (يغير نبرته متظاهراً باللامبالاة) إذن، اتصلت بالمختبر؟ النتيجة سلبية!(يتنهد بارتياح) واو... ارتحت فعلاً. أعترف أنني كنت قلقًا قليلًا. مهما تجنبنا المخاطر، إحصائيًا، وأنا أعزب في الخمسين... حتى مع الحياة شبه الرهبانية التي عشتها قبل أن أتعرف إليك...(يعود إلى القلق) بالمناسبة، عندما تعود إلى البيت، هل يمكنك أن تنظر في دفتري الصحي، في الدرج السفلي من مكتبي، لترى إن كنت قد أُصبت بالنكاف من قبل؟

يعود جيف ويجلس. يبتعد بيير بحرج نحو الغرف ليكمل المكالمة. تدخل فريديريك من المطبخ ويبدها إسفنجة.

بيير (وهو يبتعد) – لا، سأشرح لك... لا، ليس عاجلًا، لكن...

يختفي بيير باتجاه الغرف. تمسح فريديريك الطاولة، وتنظر إلى جيف الجالس بلا حركة بينما هي تعمل.

فريديريك (مازحة) – كل شيء بخير؟ ليست المهمة شاقة جدًا عليك؟

جيف (شارداً) – بخير.

صمت قصير.

جيف (يبحث عن كلماته) – تعرفين، لا ينبغي أن تغضبي كثيرًا من بيير...

فريديريك (مجروحة) – هذه المرة تجاوز كل الحدود. لم يكلمني أحد بهذه الطريقة قط. تتوقع مني أن أقبل ما قاله قبل قليل من دون أن أرد؟

جيف – هو أيضًا اضطر مرارًا إلى تحمل أشياء كثيرة بصمت... ولأكون صريحًا، ليس هو وحده...

تنظر إليه فريديريك بشيء من الدهشة.

جيف – اسمعي يا فريديريك، أنا أيضًا لم يعجبني عرض جيروم في ليلة جنازة أمي، بنكات الثكنات السوقية التي راح يطلقها. كان يمكن أن نستغل المناسبة لنلتقي قليلًا... كأسرة. لم تكن حفلة صيد، والأمر لم يكن يتعلق بزوجك مباشرة. كان عليك أن تذكريه بذلك...(صمت قصير، بغضب مكبوت) كان عليه أن يعرف حدوده. وفي المرة القادمة سيعرفها، وإلا أخذ لكمة في وجهه.

تفاجأ فريديريك بهذه الحدة والسلطة غير المعتادتين من جيف.

فريديريك (مضطربة) – آسفة... أعرف أنه كان بغيضًا. وبّخته بعد ذلك، أؤكد لك...

جيف – بعد ذلك كان قد فات الأوان...

فريديريك – على أي حال لن يتكرر الأمر...

جيف – هذا مؤكد يا فريديريك. لا ندفن والدينا مرتين...(ينهض) هناك مواعيد لا يجوز أن نفوتها. ونحن الأربعة فوّتنا الكثير منها...

فريديريك (تحاول الدفاع عن موقفها) – لكن ألا تعتقد أنه هو أيضًا يمكن أن يكون أكثر تسامحًا قليلًا؟

جيف – وللمرة الأولى سأقول أنا نكتة. «التسامح»؟ كانت هناك قديمًا «بيوت تسامح» لهذا الغرض... أما بيتي في عيد الميلاد، فإذا جئتم، فلا أريده أن يتحول إلى بيت دعارة ولا إلى فوضى.

فريديريك – اتفقنا...

جيف – سأضع مفرشًا على الطاولة.

يعود بيير من الغرفة. تدخل جوزيان ومعها آلة تصوير.

جوزيان – ما رأيكم أن نلتقط هنا صورة أخيرة لنا نحن الأربعة؟ عندي مؤقت ذاتي!

يبدو الآخرون محرجين قليلًا، لكن جوزيان تكون قد وضعت الكاميرا على الطاولة وضبطت المؤقت. يقف الأربعة أمام المدفأة، في الوضع نفسه وبالجمود نفسه تقريباً كما في صورة المدرسة. يلمع الفلاش. يتفرقون. تحفظ جوزيان الكاميرا.

جوزيان – سأطبع منها أربع نسخ وأضعها في إطارات... ستكون هدية عيد الميلاد لكم.

صمت قصير.

جوزيان – حسنًا، سأضع السباغيتي على النار.

ينهض جيف وفريديريك أيضًا.

جيف – سأفتح علبة الصلصة.

فريديريك – وأنا أجهز الطاولة.

بيير (مازحًا) – لا أرى فعلًا ماذا يمكنني أن أفعل...

فريديريك – يمكنك أن تساعدني في وضع أدوات المائدة...

يختفي جيف وجوزيان في المطبخ. يجهز بيير وفريديريك الطاولة في صمت ثم يجلسان. يبدو بيير مرحًا نوعًا ما، ويدندن صفيرًا.

فريديريك – تبدو سعيدًا جدًا فجأة... هل بيع البيت هو ما يسعدك، أم فكرة أننا قد لا نرى بعضنا بعد اليوم؟

بيير – سيعاودون الاتصال بي بخصوص النكاف، لكنني عرفت لتوي أن فحص فيروس نقص المناعة كان سلبيًا...

تبدو فريديريك مندهشة قليلاً.

بيير – تعرفت إلى شخص. وأجرينا الفحص...

فريديريك (ببرود) – تهانينا... لكن احذر. الحياة الزوجية هي بداية التبرجز. أليس هذا ما كنت تقوله حتى وقت قريب؟

بيير – حسنًا، آسف على ما قلته قبل قليل. لكنه كان يجب أن يخرج. ربما إنها أزمة الخمسين.(صمت قصير) تعرفين، أنا أيضًا لم أصبح حقًا ما كنت أحلم أن أكونه.

فريديريك – على الأقل حاولت...

بيير – نعم. حاولت. لكنني لم أنجح. ربما كان عليّ أن أواصل الإصرار على الخطأ... تعرفين ماذا ألومك عليه في العمق؟

فريديريك – ماذا، لم تنته بعد؟

بيير – أنك لم تعرفي كيف توازنين الأمور. قبل ثلاثين سنة كنا نتفق على شيء واحد على الأقل: أننا لا نريد أن نعيش مثل والدينا. لكن بمحاولتك أن تفعلي العكس تمامًا، أظن أنك أخطأتِ أيضًا.

تنظر فريديريك إلى المدفأة وهي تحبس دموعها.

فريديريك – أشعر بالبرد.

بيير – مؤسف أنه لا يوجد حطب...

فريديريك – لم تُستخدم قط. سيكون مؤسفًا أن نوسخها الآن...

صمت محرج.

بيير – كنت تعرفين أن الشركة تحت التصفية؟

فريديريك – أي شركة؟

بيير – شركة أبي! أعني شركة جيف الآن...

فريديريك – لا...

بيير – جوزيان أخبرتني صباحًا. كنت ستعرفين على أي حال.

فريديريك – كنت أتوقع أن تنتهي الأمور هكذا.

بيير – ربما هذا أفضل في النهاية.

فريديريك – من الواضح أنه لم يكن رجل أعمال حقيقيًا...

بيير – خصوصًا في «الأعمال العائلية».

فريديريك – المال الذي حصل عليه من البيت قد يسمح له بأن يبدأ مشروعًا يخصه...

بيير – نعم...

صمت.

فريديريك – جيروم وأنا سنتطلق...

بيير (مذهولًا) – حقًا؟ لماذا؟

فريديريك – مساعدته اسمها فريديريك أيضًا. لنقل إنه يميل إلى الخلط بيننا... في العيادة يعاملها كأنها زوجته، لكن أصغر سنًا. وفي البيت يعاملني أنا كأنني خادمته...

بيير (لا يعرف ماذا يقول) – آسف...

فريديريك (مبتسمة) – لا تقل لي إن قلبك سينكسر لأنك لن ترى جيروم بعد الآن...

بيير (يرتخي قليلًا) – ينكسر قلبي؟ لا. سيكون ذلك مبالغة...

فريديريك – وأنا أيضًا أظن أن الطلاق ربما أفضل. الأولاد كبروا. سأتمكن أخيرًا من أن أعيش لنفسي قليلًا.

بيير – آه، أن تعيشي لنفسك! احذري، الأمر ليس سهلًا كل يوم. يقولها لك «أعزب عجوز سابق قريبًا»!

فريديريك – والحياة مع شخص آخر ليست وردية دائمًا أيضًا، سترى. تقولها لك «ربة منزل سابقة قريبًا»... لكنني لا أريد إحباطك. أتمنى فقط ألا تترك أنت زوجتك بعد عشر سنوات من أجل امرأة أصغر منها.

بيير (مستمتعًا) – زوجتي؟ بعد عشر سنوات سأكون أنا نفسي قريبًا من الستين. ثم لا خطر من هذه الناحية. اختصرت مرحلة كاملة: سأبدأ مباشرة مع شخص أصغر مني...

فريديريك (بفضول) – كم عمرها؟

بيير – ثمانية وعشرون...

فريديريك – تأخذهم من المهد...

بيير – أنا آخذهم دائمًا في العمر نفسه. أنا الذي أتقدم في السن...

فريديريك – هذا لن يمنعني من حضور زفافك... إذا دعوتني.

بيير – الزواج ليس قريبًا بالتأكيد. لكن ربما أدعوك إلى تسجيل شراكتنا المدنية، الPACS الفرنسي...

صمت قصير. ينظران إلى بعضهما. تعتقد فريديريك، متأثرة، أنها فهمت.

بيير – أنت أول فرد في العائلة أخبره بهذا...

فريديريك (متأثرة جدًا) – لماذا أنا؟

بيير – يبدو أنني لا أكرهك بالقدر الذي أوحي به. ثم أتذكر أنك كنت أول من أخبرني بخبر زواجك. أو بالأحرى قلتِ لي إن جيروم طلب يدك. كنت تنتظرين «مباركتي» قبل أن تقولي نعم. أعرف أنه كان نوعًا من اللعب، لكنني كنت سعيدًا لأنك منحتني تلك الثقة. وكالأحمق قلت لك إن بإمكانك الزواج منه! لو كنت أعرف... صحيح أنه كان ألطف في ذلك الوقت.

فريديريك – نعم...

بيير – كان شعره طويلًا... بل كان لديه شعر أصلًا. مدهش كيف تميل الأشياء إلى الانحطاط. بالنسبة إليّ، في البداية، كنتما صورة الأسرة المثالية.

فريديريك – تعرف، لست متأكدة أصلًا أن الأسرة المثالية موجودة...

تعود جوزيان بطبق السباغيتي، ويتبعها جيف وفي يديه بضع قطع خشب.

جيف – كانت هناك كرسيّة قديمة مكسورة ومليئة بالسوس في المخزن. يمكنك أن تشعل النار بهذه.

بيير – وسأضيف إليها رواية هارلكوين قديمة لتشتعل جيدًا.

جوزيان – وإذا لم يكفِ ذلك، نحرق بقية الأثاث...

يشعل جيف النار. يقف الأربعة لحظة يتأملون اللهب في صمت.

بيير – هذا يذكّرني بصورة في كتاب التاريخ: برنار باليسي، الخزّاف الشهير في عصر النهضة، يحرق أثاث بيته كله ليُبقي فرن الخزف مشتعلًا. كان ذلك تضحيةً في سبيل الفن... غريب، لماذا بقيت هذه الصورة في ذاكرتي؟

فريديريك – وأنا يذكّرني هذا بأغنية: «الكتب إلى النار، والمعلمة في الوسط!» كان أول شعار تخريبي أتعلمه في الحضانة. كنت أظن أن هذا ما سيحدث فعلًا في نهاية سنتي الأولى في المدرسة. لكن لا... عدنا ببساطة إلى بيوتنا، ثم مللنا طوال الصيف.

بيير – وأنتِ يا جوزيان، ألا يذكّرك هذا بشيء؟

جوزيان (وهي تنظر إلى الكتب تحترق) – كان عندي أستاذ فرنسية في الثانوية. رجل بلا عمر. لم يكن كبيرًا جدًا، لكنه كان منطفئًا تمامًا. وعرفت أنه في عام1968 أحرق كل كتب مكتبته علنًا. نوع من المحرقة للكتب، في موجة حماس ثوري. بعد ذلك لم أعد أنظر إليه بالطريقة نفسها. كنت أراقبه في الصف وأسأل نفسي ماذا بقي فيه من ذلك الجنون.

صمت قصير.

بيير – وأنت يا جيف؟

جيف (مبتسمًا) – أنا الذي أشعلت النار. ألا يكفيكم ذلك؟

يواصلون التحديق في النار بصمت. تلتقط جوزيان قطعة من الكرسي لتضعها في المدفأة، ثم تتوقف، وقد أثار انتباهها شيء فيها، فتتفحص الخشب وتزنه بيدها.

جوزيان – غريب... خفيفة جدًا. كأنها مأكولة من الداخل تمامًا...

الآخرون ما زالوا غارقين في أفكارهم ولا ينتبهون إليها.

جوزيان – قرأت شيئًا عن النمل الأبيض في مجلة «لو شاسور فرانسيه». يقولون إنه رهيب. لا نراه. يأكل كل شيء في صمت، قليلًا قليلًا، سنواتٍ طويلة. كل ما هو مصنوع من الخشب. حتى هيكل السقف... وفجأة، ذات يوم، يسقط سقف البيت فوق رأسك من دون إنذار.

ينظر الثلاثة الآخرون إلى بعضهم، لا يعرفون هل يضحكون أم يقلقون. ثم يرفعون رؤوسهم نحو السقف. يأخذ جيف قطعة الخشب ويفحصها.

فريديريك – إذن؟

جيف (مترددًا) – ربما مجرد ديدان خشب. لا أعرف. لم أرَ نملًا أبيض في حياتي... كيف يكون شكله؟

بيير (إلى جوزيان) – ألم تكن هناك صورة في المقال؟

جوزيان – لم أنتبه. يعيش في جماعات، مثل النمل أو النحل.

بيير – لكنه لا يصنع عسلًا...

تفحص جوزيان الكرسي الذي تجلس عليه.

جوزيان – وهذه أيضًا مأكولة جيدًا.

يلقي الآخرون نظرة قلقة على كراسيهم، كأنهم يخشون فجأة أن تنهار تحتهم.

بيير – ربما علينا أن نصعد إلى العلية ونلقي نظرة على عوارض السقف.

جيف (واقفًا) – لست متأكدًا من وجود سلّم.

ينهض بيير هو الآخر ويخرج مع جيف. تتابعهما جوزيان وفريديريك بقلق.

فريديريك – يا للمصيبة! هذه المرة المصيبة فوق رؤوسنا حرفيًا!

جوزيان – فعلًا. لو سقط السقف علينا هذه الليلة...(صمت قصير) لحسن الحظ أننا وقعنا البيع للتو.

تنظر إليها فريديريك مستنكرة.

فريديريك – لحظة! إذا كان الأمر كذلك فعلًا، لا يمكننا أن نتصرف كأننا لا نعرف.

جوزيان – لكننا لم نكن نعرف حين وقعنا...

فريديريك – سيكون ذلك احتيالًا! ثم لا يمكننا أن نتحمل مسؤولية كهذه. تخيلي أن يموت الملاك الجدد مدفونين تحت الأنقاض. ربما لديهم أطفال...

جوزيان – هذه مشكلتهم. من يشتري بيتًا يفحص السقف والعوارض...

صمت قصير.

جوزيان – أو نحرق البيت قبل أن نغادر. شركة التأمين ستدفع. الحرائق تحدث كل يوم...

فريديريك – في اليوم التالي لبيع البيت؟ سيجدون ذلك غريبًا. وستكون هناك تحقيقات. الاحتيال على التأمين قد يكلف غاليًا.

يعود جيف وبيير.

جوزيان – إذن؟

جيف – من الصعب الجزم. لا نرى جيدًا. من الواضح أن بعض الخشب مسوّس، لكن السقف نفسه ليس جديدًا. يجب أن يفحصه مختص.

فريديريك – سيكون ذلك أفضل، أليس كذلك؟ قد نتورط في مشاكل...

بيير – لا أعرف بالضبط ماذا يقول القانون في هذا الشأن. لكن من المؤكد أن المشتري يستطيع مقاضاتنا إذا اكتشف أننا بعناه بيتًا مأكولًا بالنمل الأبيض. إصلاح هيكل السقف وحده قد يكلفه نصف ثمن البيت.

جوزيان – وإذا كان علينا نحن أن ندفع ثمن سقف جديد، فلم يعد هناك أي معنى لبيع هذا البيت.

بيير (متنهدًا) – كنت أعرف أن الأمور لا يمكن أن تكون بهذه السهولة.

فريديريك – إذن ماذا نفعل؟

جيف – نرى غدًا. لكن الأفضل تعليق البيع إلى أن نحصل على تقرير خبير. سنكون أهدأ. لا أريد أن نجد أنفسنا بعد سنة أمام دعوى قضائية.

فريديريك – مع تعويضات فوق ذلك...

جوزيان – سلامٌ على الميراث! كنت أتساءل من أين يأتي كل هذا الغبار أيضًا...

فريديريك (واقفة) – أظن أن الأفضل أن نذهب للنوم.

جوزيان (قلقة) – هل تعتقدون فعلًا أن النوم هنا آمن؟ ربما كان من الأفضل أن نذهب إلى فندق؟

بيير – إحصائيًا، سيكون من سوء الحظ الخارق أن يسقط هذا البيت فوق رؤوسنا في هذه الليلة بالذات، بعدما لم نجتمع هنا منذ أربعة عشر عامًا.

يستعدون للخروج نحو غرف النوم.

جيف (مازحًا) – حاولوا فقط ألا تعطسوا بقوة شديدة.

يضحكون.

إظلام.

صباح اليوم التالي

فريديريك جالسة وحدها في غرفة الجلوس، تدخن سيجارة وهي تنهي قهوتها. وقد ارتدت ملابسها ووضعت زينتها. تدخل جوزيان بقميص النوم وتبدو مرهقة جدًا. تحاول فتح أذنيها بإصبعها الصغير.

جوزيان – أذناي مسدودتان تمامًا... أنا متأكدة أن ذلك الصغير البرتغالي في القطار هو من نقل إليّ النكاف...

فريديريك (مستغربة) – من؟

جوزيان – في القطار!

تفضل فريديريك ألا تستفسر أكثر.

جوزيان – ثم إن هذه السباغيتي جعلتني عطشى. آمل ألا تكون الصلصة قد تجاوزت تاريخ صلاحيتها بوقت طويل.(تصب لنفسها كأس ماء وتنظر إلى أختها) وأنتِ أيضًا، شكلك سيئ جدًا...

فريديريك (منزعجة) – نمت بشكل سيئ، هذا كل شيء...

جوزيان – ليس بسبب شجارك مع بيير أمس عند الظهر؟ تعرفينه، لا بد له دائمًا أن يقول بصوت عالٍ ما يفكر فيه الآخرون بصمت...

تنظر إليها فريديريك بدهشة، لكنها تفضل ألا ترد. تصب جوزيان لنفسها قهوة.

جوزيان – وأنا أيضًا لم أنم جيدًا. بسبب ذلك النمل الأبيض. حلمت بأنه أكلنا نحن أيضًا أثناء الليل. وبدأ بالدماغ...

تنظر إليها فريديريك بحيرة. ترتشف جوزيان القهوة ثم تتكدر وهي تمسك بطنها.

جوزيان – هذه القهوة تصيبني بالغثيان...(صمت قصير) أظن أنني سأذهب لأتقيأ...

تخرج جوزيان وتصادف بيير داخلًا، وهو أيضًا غير مستيقظ تمامًا.

بيير – يا إلهي... أنتِ أيضًا لا تبدين في أحسن حال.

فريديريك (ببرود) – شكرًا. جوزيان قالت لي الشيء نفسه للتو.

يصب بيير لنفسه قهوة.

بيير – كنت أتحدث عن نفسي أيضًا... بعد الخمسين، إذا نامت سندريلا بعد منتصف الليل... تستيقظ في الصباح ورأسها مثل اليقطينة.

فريديريك – تعتبر نفسك سندريلا...؟

بيير – أنتن النساء تستطيعن دائمًا وضع بعض المكياج قبل الخروج إلى الشارع.

فريديريك – أنا أضع المكياج أصلًا...

يحرك بيير قهوته.

بيير – سامحيني. اقتراب عيد الميلاد يسبب لي الاكتئاب. أشعر أن عليّ أن أكون بغيضًا مع الجميع، ولا أعرف لماذا. في الحقيقة... أظن أنني أعرف قليلًا.

صمت.

فريديريك – ذات يوم أخذني أبي جانبًا في سيارته قبل أن يذهب إلى العمل. كان عمري خمس أو ست سنوات. وأخبرني أن بابا نويل، سانتا كلوز، غير موجود. هكذا، من دون أن أسأله شيئًا. في البداية شعرت بشيء من الفخر، كأنني أصبحت كبيرة. لكنني لم أتأخر في فهم ما كان يقصده فعلًا...

بيير – وكلما أراد أن يذكرنا بمدى سذاجتنا كان يقول لنا بسخرية: «أنت تؤمن ببابا نويل!»

فريديريك – ولأنتقم، أخبرت ابنة المعلمة بدوري أن بابا نويل غير موجود. في صباح اليوم التالي صفعتني أمها مرتين... لم يكن يكفي أن بابا نويل غير موجود، كان عليّ أيضًا أن أحتفظ بالسر لنفسي!

بيير – هل يجب دائمًا أن نسامح آباءنا... بحجة أنهم هم أيضًا ربما عاشوا طفولة تعيسة؟

فريديريك – كنت أظن أنني حين أصبح أمًا سأصبح أكثر تسامحًا مع أمي. لكن لا. الأمر فقط جعلني أدرك حجم الحنان الذي لم يعرف والدانا كيف يمنحانه لنا.

تعود جوزيان وقد ارتدت ملابسها، وفي يدها كيس قمامة.

جوزيان – جيف لم يستعد بعد؟ كعادته، آخر من ينهض... سأرمي ما بقي من السباغيتي وإلا ستنتن. الصلصة كانت رائحتها سيئة أصلًا ونحن نأكلها...(صمت قصير) ثم إنني تقيأت في الكيس كي لا أسد المغسلة...

ينظر إليها الاثنان الآخران بذهول. تخرج جوزيان بكيس القمامة. يدخل جيف بدوره. وكما في اليوم السابق، يمشي كمن يتحرك على الطيار الآلي، لكنه مرتدٍ ملابسه ومستعد للمغادرة. يصب لنفسه قهوة.

فريديريك – حان وقت توديع هذا البيت... هذه آخر مرة نتناول فيها الإفطار هنا معًا. كما كنا نفعل ونحن صغار...

صمت محرج.

فريديريك – لا شيء يمنعنا من أن نلتقي من جديد رغم ذلك...

بيير – نعم...(بمرارة) لكن هل هذا يفيدنا حقًا...؟

تعود جوزيان مسرعة.

جوزيان (بنبرة درامية) – سرقوا منا حاوية القمامة!

بيير (ساخرًا) – هل كان بداخلها شيء ثمين؟

يخرج جيف، وقد أثار الأمر فضوله، ليرى.

جوزيان – لا يُصدق! حتى حاويات القمامة أصبحت تُسرق الآن. ونحن في الريف أيضًا!

صمت قصير. يعود جيف.

جيف – لم يسرقها أحد. لقد احترقت. لأنها من البلاستيك لم يبقَ منها شيء. لحسن الحظ أنها لم تشعل النار في البيت...

ينظر جيف إلى جوزيان بريبة.

جيف – لم تضعي رماد المدفأة في الحاوية أمس، أليس كذلك؟

يلتفت إليها فريديريك وبيير أيضًا.

جوزيان – ظننت أنه لم يعد هناك جمر...

جيف – يبدو أن بعضه ظل مشتعلًا تحت الرماد.

بيير – إذن لا نبلغ الشرطة...؟

جوزيان – غريب أن تشتعل هذه الحاويات بهذه السهولة. هذا خطير.

يتبادل الآخرون بالكاد نظرة، وقد اعتادوا سوء نية جوزيان.

بيير – هذه المرة ربما كان الأفضل أن ندفن كل ذلك في الحديقة. أبخرة صلصة البولونيز، وقيء جوزيان، والجمر المشتعل... قد تحدث تفاعلًا كيميائيًا غير متوقع.

جيف (شاردًا) – هناك مجرفة في كوخ الأدوات.

ينظر إليه الجميع.

جيف (يفهم الرسالة، مستسلماً) – حسنًا، سأذهب أنا...

تواصل جوزيان مسار أفكارها الملتوية.

جوزيان – كان لهذا الأخصائي في العلاج الطبيعي اسم غريب...

بيير – ويليام.

جوزيان – نعم، ويليام... اسم مناسب لمغفل أيضًا، بصراحة، كي يشتري هذا البيت المتداعي... كنت سأعطيه رقم هاتفي، لكن... صحيح أنه بدا قليلًا...

بيير – قليلًا ماذا؟

جوزيان – ألم تلاحظ أنه شاذّ؟

تراقب فريديريك، غير مرتاحة، رد فعل بيير الذي يقرر أخيرًا أن يتكلم.

بيير – عندي شيء أريد أن أقوله لكم... والأفضل أن أقوله الآن...

تنصت جوزيان. تبتسم فريديريك لبيير لتشجعه.

بيير – أخصائي العلاج الطبيعي الذي اشترى البيت، ويليام... هو شريكي.

فريديريك، التي لم تكن تعرف هذا الجانب من الأمر، تُفاجأ مثل جوزيان، خصوصًا أنها كانت تتوقع نوعًا آخر من الاعتراف.

فريديريك (بشيء من البرود مجدداً) – حسنًا... قررت أن تفاجئنا اليوم.

جوزيان (ضائعة تمامًا) – يعني ذلك الأخصائي الشاذّ كان مجرد واجهة لك؟

فريديريك – لماذا فعلت ذلك؟ كان يمكن أن نتفاهم إذا كنت تريد الاحتفاظ بالبيت...

بيير – خشيت أن تصبح الأمور معقدة...

فريديريك (ساخرة) – صحيح، هكذا أصبحت أبسط بكثير.

جوزيان – ثم إنك في النهاية لم تعقد صفقة سيئة...

بيير – البيت ظل معروضًا للبيع أكثر من سنة. لم يكن أحد يريده...

يصمت الآخرون، و كل منهم مرتبك على طريقته أمام هذا الكشف.

بيير – لحظة، أذكّركم أنكم بعتمونا للتو بيتًا قد يكون النمل الأبيض قد التهمه بالكامل...

جوزيان (وقد أصبحت تفهم أقل فأقل) – بعتمونا...؟ يعني أنتما تشتريانه معًا...؟

تأتي فريديريك لمساعدة بيير.

فريديريك – هو شريكه... لا أظن أننا بحاجة إلى رسم توضيحي.

تفهم جوزيان أخيرًا.

جوزيان (مبتسمة) – آه، فهمت! كنت أشعر أن هناك شيئًا...

فريديريك (ساخرة) – نعم، الحدس الأنثوي...

بيير – ستبقون دائمًا في بيتكم هنا...

يعود جيف من الحديقة.

جيف – لا يُصدق!

فريديريك – قل ذلك فعلًا...

لكن جيف يتحدث عن شيء آخر.

جيف – انظروا ماذا وجدت وأنا أحفر في الحديقة لدفن القمامة!

يرفع عظمة ليُريهم إياها.

جوزيان – ما هذا؟

بيير – تبدو إلى حد كبير كعظمة فخذ...

فريديريك – تقصد... عظمة بشرية؟

بيير (إلى جيف) – هل كان معها الهيكل العظمي كله؟

جيف – لم أواصل الحفر. لا أعرف ماذا وضعتم في ذلك الكيس، لكن رائحته لم تكن كالورد. رميت كل شيء في الحفرة وردمتها بسرعة.

جوزيان – يمكننا إبلاغ الشرطة، لكن... هل تدركون؟ جثة مدفونة في حديقتنا! قد نقع في مشاكل...

تبدو فريديريك محرجة قليلًا.

فريديريك – إذا كان فعلًا شخصًا ميتًا، فمن يمكن أن يكون؟

صمت قصير.

بيير – ربما أبي...

ينظر الآخرون إليه مستنكرين أن يمزح في أمر كهذا. لكن بيير لا يمزح.

بيير – آخر مرة جاءت فيها أمي إلى هنا كانت معه. وبعد ذلك لم نره أبدًا. ما الذي يثبت أنه عاد فعلًا إلى الأمازون بعد ذلك...؟

جوزيان (إلى بيير) – يا للهول... لحسن الحظ أن صديقك المثلي هو من اشترى هذا البيت. هكذا يبقى الأمر داخل العائلة!

جيف (ضائعًا) – من المثلي...؟

جوزيان – بيير!

فريديريك (وقد لم تعد واثقة من شيء) – متعاطف، على الأقل...

يحاول جيف استيعاب المعلومة. يبقى بيير جامدًا، إما لأنه لا يريد النفي، أو لأنه لم يسمع أصلًا، إذ هو منهمك في تأمل ما يُفترض أنه عظمة فخذ.

فريديريك – لا نبالغ في الأمر أيضًا. قد تكون عظمة بقرة.

بيير – لكنها تشبه عظمة فخذ بشدة...

فريديريك – وهل أنت خبير في عظام الفخذ؟

بيير – شريكي أخصائي علاج طبيعي... كنت أساعده في مراجعة امتحاناته...

جيف – ثم لماذا يدفن أحد بقرة في حديقتنا...؟

جوزيان – أو ربما جارنا قاتل متسلسل، يدفن ضحاياه عندنا كي لا يُكشف أمره...

بيير – إذا كنا سنقضي عطلات هنا من جديد، فأنا أفضل أن تكون أمي قد قتلت أبي... هذا أقل خطورة من جار مختل نفسيًا...

فريديريك – لن نحل هذا الآن... أقترح أن نغادر المكان فورًا. نأخذ العظمة إلى باريس ثم نرى ماذا نفعل.

يوافق الجميع. وللانشغال بشيء آخر، يستأنفون استعداداتهم الأخيرة للمغادرة. يذهب كل منهم لإحضار أمتعته. تعود جوزيان ومعها كيس كبير إضافي إلى جانب الحقيبة التي جاءت بها.

بيير (بارتياب) – ألم تكوني قد جئتِ بحقيبة واحدة فقط؟

جوزيان – أحمل معي بعض الذكريات! على الأقل لن يأكلها النمل الأبيض...

جيف (إلى بيير) – أغلقت العداد؟

بيير – نعم...(بعد تردد) سأتحقق.

يختفي بيير لحظة ليتأكد.

بيير – تمام، يمكننا الرحيل.

يستعد الإخوة والأخوات الأربعة لمغادرة البيت، وأمتعتهم في أيديهم.

جيف (ملقياً نظرة أخيرة حول المكان) – لم ننسَ شيئًا...؟

بيير – سأحمل عظمة الفخذ... سأريها لويليام...

جيف – من ويليام؟

فريديريك – سنشرح لك لاحقًا...

جوزيان – جئنا إلى هنا لنحل مشاكل الميراث... وأشعر أننا لم نخرج من المشاكل بعد.

يخرج جيف وفريديريك وجوزيان. يبقى بيير آخر واحد. يحمل حقيبته الصغيرة، ثم يأخذ صورة العائلة من فوق المدفأة وينظر إليها لحظة بابتسامة مُرة.

بيير – الذكريات... لا تشغل مكانًا كبيرًا، لكنها ثقيلة الحمل.

ينادونه من الخارج.

فريديريك (من الخارج) – بيير؟

جيف (من الخارج) – هل ستأتي؟

جوزيان (من الخارج) – ماذا يفعل؟

يعيد بيير الصورة إلى مكانها.

بيير – حسنًا، أنا آت!(يأخذ العظمة الموضوعة على الطاولة) كدت أنسى عظمة فخذ أبي!(لنفسه) الآن اجتمعت العائلة أخيرًا...(ينظر إلى العظمة) حسنًا، هذه بداية على الأقل...

يخرج بيير.

إظلام.

النهاية.

عن المؤلف

وُلد جان بيير مارتينيز عام1955 في أوفير سور واز (فرنسا). بدأ مسيرته عازفَ طبول في عدد من فرق الروك، قبل أن يعمل متخصصًا في السيميائيات في مجال الإعلان. ثم اتجه إلى كتابة السيناريوهات التلفزيونية، قبل أن يكرّس نفسه للمسرح وكتابة المسرحيات. كتب ما يقارب مئة سيناريو للتلفزيون، وعددًا مماثلًا من المسرحيات، أصبح بعضها بالفعل من الأعمال الكلاسيكية، مثل «الجمعة13» و«بوكر التعري». وهو من أكثر كتّاب المسرح المعاصرين عرضًا في فرنسا وفي بلدان أخرى ناطقة بالفرنسية. كما تتوافر عدة مسرحيات له بالإسبانية والإنجليزية، وتُعرض بانتظام في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية.

يمكن للفرق المسرحية الهاوية والمحترفة التي تبحث عن نصوص لعرضها تنزيل مسرحيات جان بيير مارتينيز مجانًا من موقعيه:

/https://jeanpierremartinez.net

/https://comediatheque.net

لكن حقوق العرض، التي تمثل تعويضًا عادلًا عن عمل المؤلف، تُعد التزامًا قانونيًا. وسواء كنتم فرقة هاوية أم محترفة، يجب عليكم طلب إذن بعرض المسرحية ودفع حقوق المؤلف المستحقة عن الإنتاج.

تمثّل الجمعية الفرنسية للمؤلفين والملحنين الدراميين (SACD) جان بيير مارتينيز.

للتواصل مع جان بيير مارتينيز وطلب الإذن بعرض أحد أعماله، يُرجى استخدام أحد نموذجي الاتصال التاليين:

/https://comediatheque.net/contact-form

/https://jeanpierremartinez.net/en/contact-2

هذا النص محمي بموجب قوانين حقوق المؤلف.
ويُعدّ أي انتهاك لحقوق المؤلف جريمة يعاقب عليها القانون.

وبموجب التشريع الفرنسي، قد تصل عقوبة انتهاك حقوق المؤلف إلى ثلاث سنوات من السجن وغرامة قدرها300,000 يورو.

أفينيون – سبتمبر2026

ISBN 978-2-38602-454-2–

La Comédiathèque©

https://comediatheque.net

https://jeanpierremartinez.net/en/accueil-english

النص المسرحي متاح للتنزيل مجانًا